



لِتَعَوِّضَنَا عَنْكَ يَا إِلَهِيَّةَ لِلْأَمْرِ الْحَسَنِ

لِشَيْخِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أَصْدِقَاتِ

مَعَهْدُ تَرَاثِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلدِّرَاسَاتِ الْحُزُونَةِ الْإِلِكْتُرُونِيَّةِ



قسم الشؤون الفكرية والثقافية

www.alkafeel.net

info@alkafeel.net

nashra@alkafeel.net

كربلاء المقدسة

ص.ب (٢٢٣)

هاتف: ٢٢٢٦٠٠٠، داخلي: ١٧٥-١٦٢

الكتاب: التعويضات الإلهية للإمام الحسين عليه السلام.

تأليف: الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي.

الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة، معهد تراث الأنبياء للدراسات
الحوزوية الإلكترونية.

الايخراج الطباعي: علاء سعيد الاسدي.

المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر.

الطبعة: الأولى.

عدد النسخ: ٥٠٠.

ربيع الآخر ١٤٤٢ هـ - تشرين الثاني ٢٠٢٠ م



مقدمة المعهد

معهد تراث الأنبياء، مؤسّسة علمية حوزوية تُدرّس المناهج الدّينية المعدّة لطلّاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

الدراسة فيه عن طريق الانترنت وليست مباشرة.

يساهم المعهد في نشر وترويج المعارف الإسلاميّة وعلوم آل البيت عليه السلام ووصولها إلى أوسع شريحة ممكنة من المجتمع، وذلك من خلال توفير المواقع والتطبيقات الإلكترونيّة التي يقوم بإنتاجها كادر متخصص من المبرمجين والمصمّمين في مجال برمجة وتصميم المواقع الإلكترونيّة والتطبيقات على أجهزة الحاسوب والهواتف الذكيّة.

وبالنظر للحاجة الفعلية في مجال التبليغ الإسلامي النسوي فقد أخذ المعهد على عاتقه تأسيس جامعة متخصصة في هذا المجال، فتمّ إنشاء جامعة أمّ البنين عليها السلام الإلكترونيّة لتلبية حاجة المجتمع وملء الفراغ في الساحة الإسلاميّة لإعداد مبلّغات رساليّات قدرات على إيصال الخطاب الإسلامي بطريقة علمية بعيدة عن الارتجال في العمل التبليغي، بالإضافة إلى فتح التخصصات العقائدية والفقهية والقرآنية.

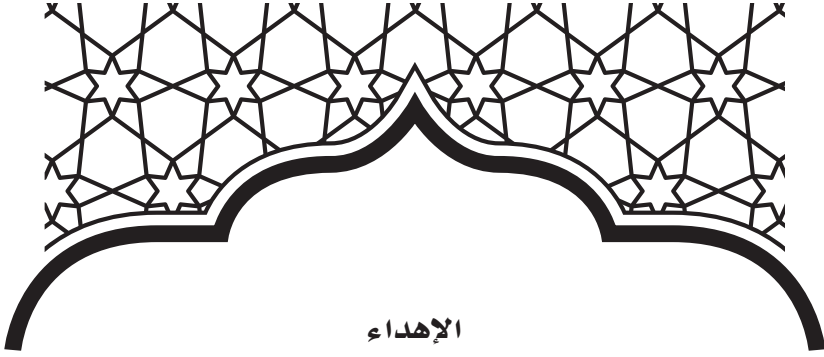
على أنّ المعهد لم يُهمل الجانب الإعلامي، فبادر إلى إنشاء مركز القمر للإعلام الرقمي، الذي يعمل على تقوية المحتوى الإيجابي على شبكة الانترنت ووسائل الإعلام الاجتماعي، حيث يكون هذا المحتوى موجّهاً لإيصال فكر أهل البيت عليه السلام وتوجيهات المرجعية الدّينية العليا إلى نطاق واسع من الشرائح المجتمعية المختلفة وبأحدث تقنيات الإنتاج الرقمي وبأساليب خطابية تناسب المتلقّي العصري.

والمعهد يقوم بطباعة ونشر الإنتاج الفكري والعلمي لطلبة العلم، في مختلف العناوين العقائدية والفقهية والأخلاقية، التي تهدف إلى ترسيخ العقيدة والفكر والأخلاق، بأسلوب بعيد عن التعقيد، يستقي معلوماته من مدرسة أهل البيت عليهم السلام الموروثة.

الكتاب الذي بين يديك، هو أحد إصدارات معهدنا، لمؤلفه الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي، والذي تعرض فيه للامن الإلهية في تعويض الإمام الحسين عليه السلام جزاءً لما قدمه للدين من توضيحات جسام، وقد تم بيان ذلك اعتماداً على آيات القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام التي تعرضت لهذا المعنى.

نسأل الله ﷻ أن يجعل عملنا في عينه، وأن يتقبله بقبوله الحسن، إنه سميع مجيب.

إدارة المعهد



الإهداء

إلى سيدة الصبر وجبلة الأشم...
إلى العالمة غير المعلمة، والفاهمة غير المفهمة...
إلى لبوة أمير المؤمنين عليه السلام، وبضعة الزهراء البتول عليها السلام...
إليك أنتِ، أيتها الأسيرة المتحيرة...
سيدتي، يا زينب الكبرى...
وإليك أنت يا كافلها... وراعيها...
إليك يا من جاهدت في سبيل الله تعالى... وواسيت أخاك بنفسك...
ومن بقتله انتهكت حرمة الإسلام...
إليك يا أبا الفضل...
أهدي إليكما جهداً متواضعاً... راجياً القبول...



المقدمة

يهدف العاقل - في كل حركة يقوم بها - إلى الوصول إلى غاية معينة، وعظمة الغاية تتناسب مع عظمة الإنسان طرداً، فكلما كان الإنسان عظيماً في نفسه، كلما كانت الغايات التي يقصدها عظيمة، وأهدافه سامية، وهذا أحد أسباب اختلاف الناس فيما بينهم، فبينما تجد امرئاً قد رضي لنفسه أن يعيش بين الحفر، وجلُّ اهتمامه بطنه، ﴿كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هُمُّهَا عِلْفُهَا، أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقْمُّمُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلَافِهَا وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُّ بِهَا﴾^(١)، تجد آخر لم يرض دون القِمة موضعاً لقدمه، فلا يهدأ له بال، ولا يستقر له حال، إلا إذا بلغ من الغايات أسماها، ومن الأهداف أعلاها، وما بين ذاك وذاك متوسطات كثيرة جداً...

ولقد شاءت القدرة الإلهية أن يكون عالمنا المادي هو عالم التزاحم، وبالتالي التنافس، وهذا لا يعني أن السواء شاءت أن يتصادم الإنسان مع أخيه الإنسان، وإنما يعني ضرورة تنظيم العمل وتقسيم الأدوار وتقنين التنافس، وهو ما دعا إليه الدين في الكثير من النصوص التربوية.

الملفت للنظر: أن للدين نظره الخاصة في صياغة قانون التنافس، فلم يترك الأمر على عواهنه، وإنما رسم الطريق أبلجاً والسييل واضحاً، وجعل للمؤمن هدفاً أسمى، يتمثل في تحقيق رضا الباري جل وعلا، وجعل دون ذلك أهدافاً متوسطة، كل واحد منها يُقدم المؤمن خطوة نحو رضا الباري جل وعلا، وهو ما ينبغي التنافس عليه، قال تعالى ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ. عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ. تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ. يُسْقَوْنَ

(١) نهج البلاغة - تحقيق صبحي صالح ص ٤١٨.

مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿١﴾.

وقال تعالى ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. (٢)

وقال تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. (٣)

فالعاقل هو من يجعل من الدنيا وما فيها مركباً للوصول إلى رضا الباري جل وعلا، ويكون هدفه الآخرة.

من جهة أخرى، فإن الباري جل وعلا أخذ على نفسه أن يعوّض العاملين لأجله، بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، إلا أنه جعل التعويض متناسباً مع العمل، والعدل والحكمة يقتضيان إعطاء العامل ما يتناسب مع جهده الذي بذله، وفي قانون السماء يُضاف إلى الجهد: الدوافع الذاتية والداخلية للعمل.

ومن هنا، صرحت العديد من الروايات الشريفة بأن الله تبارك وتعالى شاء أن يعوّض الإمام الحسين (عليه السلام) بالعديد من التعويضات والهبات التي تحكي كرمه وجوده جل وعلا من جهة، ومقدار وعظمة التضحية التي قدمها أبو عبد الله الحسين (عليه السلام) من جهة أخرى، وهو ما يُراد تسليط الضوء عليه في هذا الكتاب، مع محاولة بيان الركائز والملاكات العقائدية والسلوكية التي كانت وراء تلك التعويضات والتي تترتب عليها من ناحية أخرى، بالإضافة إلى بيان الجواب المناسب على ما قد يُثار حولها من تساؤلات عقائدية وأخلاقية، اعتماداً على الأصول العامة والمعتقدات الراسخة في مذهب أهل

(١) المطففين (٢٢ - ٢٦)

(٢) العنكبوت (٦٤).

(٣) التوبة (٧٢).

البيت ﷺ.

جدير بالذكر أنه تم إلقاء مضامين هذا الكتاب ضمن إحدى عشرة محاضرة في محرم الحرام ١٤٤٢ هـ/ أيلول ٢٠٢٠م في العاصمة بغداد/ حي الجهاد/ جامع وحسينية أمير المؤمنين ﷺ.

اسأل الله تعالى أن يمن علينا برضاه، وبشفاعة أهل البيت ﷺ عموماً والإمام الحسين ﷺ خصوصاً، وأن يجعلنا من الدعاة إلى مذهب الحق على بصيرة من ديننا ويقين من اعتقادنا، إنه سميع مجيب.

حسين عبد الرضا الأسدي/ النجف الأشرف.

مساء الاثنين ١٨ محرم الحرام ١٤٤٢ هـ

٧ أيلول ٢٠٢٠ م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، محمد وآله
الطيبين الطاهرين.

أصول موضوعية

الأصل الأول: الحسن والقبح العقليان.

إن للعقل القدرة - بنحو الموجبة الجزئية - على إدراك حسن بعض الأفعال وقبح بعضها الآخر، وعلى أساس حكم العقل جاء الفعل الإلهي، بمعنى أن فعل الله تعالى مقنن بقانون الحسن والقبح العقليين، فلا يمكن أن يصدر منه جل وعلا ما يحكم العقل بقبحه، بل إن كل ما يصدر منه تعالى هو موافق لما يحكم العقل بحسنه، بل إنه جل وعلا لا يفعل إلا الأصلح، وعلى جميع المستويات...

وهذا على خلاف بعض المدارس الإسلامية التي جعلت فعل الله تعالى هو القانون، فما فعله ﷺ هو حسن، ولا حكم للعقل في ذلك، لذا جوزوا أن يدخل الله تعالى الأنبياء النار والكفار الجنة من دون أن يكون للعقل حكم في ذلك... بحجة أنه تعالى لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون...

وتفصيل الكلام في هذا المسألة محله علم الكلام، ونأخذه هنا كأصل موضوعي.

الأصل الثاني: عدم العلم بالحكمة لا ينفيها.

نحن نؤمن بأن الله تعالى حكيم، والأدلة متعاضدة على ذلك عقلاً ونقلاً، وتفصيلها

في محلها، المهم هو أن نشير إلى أن عدم العلم بالحكمة لا ينفيها، ويكفيها الإبان تعبدًا بوجودها، ما دمننا نؤمن بحكمة الأفعال الإلهية طرأً.

وهذا الاعتقاد يوفر لنا الإيمان العام بوجود حكمة في كل أفعال الله تعالى وإن لم نعلم بها، الأمر الذي يقطع السؤال عن الحكمة.

وهذا له نظائر في الروايات، من قبيل ما روي من خفاء علة الغيبة الحقيقية، فقد ورد عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة لا بدَّ منها، يرتاب فيها كلَّ مبطل»، فقلت له: ولِمَ جُعِلت فذاك؟ قال: «لأمر لم يُؤدَّن لنا في كشفه لكم»، قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ فقال: «وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدَّمه من حجج الله تعالى ذكره، إنَّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلَّا بعد ظهوره كما لا ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، لموسى عليه السلام إلَّا وقت افتراقهما. يا ابن الفضل، إنَّ هذا الأمر أمر من أمر الله تعالى، وسرٌّ من سرِّ الله، وغيب من غيب الله، ومتى علمنا أنَّه عليه السلام حكيم، صدَّقنا بأنَّ أفعاله كلُّها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف»^(١).

هذا الأصل ينفعنا في الجواب عن العديد من الأسئلة التي تُثار، من قبيل: لماذا جعل الله تعالى الأئمة من ذرية الإمام الحسين عليه السلام دون الإمام الحسن عليه السلام. وسيتبين الجواب في محله إن شاء الله تعالى.

الأصل الثالث: واقعية الألم في الحياة.

هناك من الأفعال المشاهدة تتصف بالألم، وهي مستندة إلى فعل الله تعالى أو أمره

(١) كمال الدين: ٤٨١ و ٤٨٢ / باب ٤٥ / ح ١١.

جل وعلا، وقد تتبلس بلباس يوههم الرائي بأنه ظلم أو عبث أو ما شابه... وحيث إن إيلامه جل وعلا وتسببيه ما ظاهره الألم والظلم والعبث ينافي عدله تعالى وحكمته، كان مناسباً معرفة الجواب والمخلص من ذلك.

والجواب يكون واضحاً إذا عرفنا «ما يخرج الفعل عن كونه إيلاماً أو ظلماً أو عبثاً»، ويمكن أن يذكر في هذا المجال التالي:

أولاً: إذا كان المتألم مستحقاً له، كما لو ارتكب العبد ما يخالف أمر مولاه، أو ارتكب جريمة وما شابه، فإن إيلامه آنذاك لا ينافي العدل ولا يوصف بالقبح، بل على العكس، يحكم العقل والعقلاء بحسن تأديبه ولو بإيلامه، وإلا فإن «من أمن العقوبة أساء الأدب».

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١).

ثانياً: قد يترتب إلى الإيلام نفع كثير للشخص، أو قد يدفع به عنه ضرر بليغ، فإنه آنذاك يحكم العقل بحسن الإيلام، وإن لم يطلع الشخص المتألم على ذلك النفع أو الضرر...

ومن ذلك ما أشار له أمير المؤمنين (عليه السلام) فيما يتعلق بالدعاء، حيث قال صلوات الله عليه: ... «فَلَا يُقْنِطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ، وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ، وَرُبَّمَا سَأَلْتَ شَيْئاً فَلَا تُؤْتَاهُ، وَأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيَتْهُ، فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتَكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ، وَيُنْفَى عَنْكَ

وَبَالَهُ...»^(١).

ثالثاً: من المسلّمات هو أن الله تعالى قد خلق الكون وفق نظام الأسباب والمسببات، ومعه، فقد يكون الألم بسبب جريان القانون الإلهي والسنة الكونية التي أوجد الله تعالى على وفقها الكون... فإذا وقع طفل في النار، جرت عليه السنة الكونية، واحترق، وإن تألم أو تألم أبواه ومحبه.^(٢)

الأصل الرابع: التعويض الإلهي، منّة لا استحقاق.

عندما يأمرنا الله تعالى بأمر، وننفذه، فهل يلزم أن يعوضنا الله تعالى عن امتثال ذلك الأمر؟

عندما أمرنا الله تعالى بالصلاة، وصلينا، هل يجب على الله تعالى أن يعوضنا عن هذه

(١) نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٨.

(٢) استطراد:

وقد يتصور البعض أن من الحسن أن لا يجري الله تعالى سنة الإحراق على ذلك الطفل، إذ يحكم العقلاء حينذاك بحسن هذا الأمر... وهكذا بقية القوانين الكونية التي قد تسبب الألم والمرض وما شابه، ولكن الواقع هو إنه وإن أمكن أن يُحكم بحسن مثل هذه التوقيفات في نظام الكون، ولكن إذا أخذنا بنظر الاعتبار أمراً آخر، بحيث تدخل المسألة في التزاحم بين الأهم والمهم، حينئذ يحكم العقل بلا تردد بلزوم تقديم الأهم...

وفي المقام يقال: إن من أهم الأمور عند الله تعالى هو رواج الدين والشرعة بين الناس، ليلبغوا الهدف الأسمى لخلقتهم...

ومن جانب آخر نعرف أن هذا الأمر لا يتم للبشر إلا من خلال إرسال الرسل، فإن العقل مهما كان متكاملًا لكن يده تبقى قاصرة عن إدراك كثير من الحقائق والاعتبارات الشرعية الموصلة إلى الهدف الأسمى...

ولا شك أن مسألة النبوات تحتاج إلى ما يثبتها، وهي المعجزة، وهي تقوم على أساس خرق النظام القائم بحيث يعجز غير النبي أن يقوم بذلك الخرق، وبهذا يتبين أن الإبقاء على النظام الطبيعي والسنة الكونية أحسن من خرقها في كل مرة، وإن سببت الألم للبعض.

الصلاة؟

وهكذا عندما نتألم المأ ظاهرياً بسبب أمر إلهي، كما لو أمرنا الله تعالى بالصوم وتأملنا، أو أمرنا بالجهاد وقتلنا، فهل يلزم على الله تعالى أن يعوضنا بدل ذلك؟ وعلى هذا قس ما سواه...

الجواب:

أولاً: لو تكلمنا بلغة الاستحقاق، فنحن لا نستحق على الله تعالى شيئاً، لعدة أسباب:

١ / إن الإنسان هو عَبْدٌ قِنَّ لله تعالى، فالإنسان وما يملك هو ملك صرف لله تعالى، والعبد لا يستحق على مولاه شيئاً.

٢ / إن الأعمال التي يقوم بها الإنسان والتي يعتبرها عبادات، إنما يقوم بها عند إقدار الله تعالى له عليها، فلولا أن الله تعالى أعطاه القدرة والقوة على فعلها لما أمكنه أن يفعل أي شيء، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله.

٣ / إن الآلات التي يعبد الإنسان بواسطتها الباري تعالى هي هبات مجانية من الله تعالى، فلا يستحق على إعمالها أي شيء على الله تعالى، فاللسان واليد والرجل والعين والأذن كل جوارحك هي من الله تعالى، فلا تستحق عليه أي شيء.

٤ / إن أي عمل يقوم به العبد تجاه الله تعالى مهما عظم إنما يمثل حركة بسيطة جداً إزاء النعم التي أنعمها الله تعالى على الإنسان، والعقل يلزم الإنسان بأن يشكر من أحسن إليه، ولا محسن علينا كالله تعالى، قال تعالى ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: ٣٤).

ثانياً: أما لو تكلمنا بلغة الكرم والرحمة والمنة الإلهية، حينئذ سيتغير الجواب، وهو محل الكلام، فإننا وإن كنّا لا نستحق شيئاً على الله تعالى، ولكنه جل وعلا رحمة بنا وكرماً منه كتب على نفسه أنه يثيب المطيع ويكافئه كأحسن ما تكون الإثابة والمكافأة... فهو جل وعلا كتب على نفسه الرحمة... وإلا فطاعتنا لا تنفعه أي شيء، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ، آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ، لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاهُ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ أَطَاعِهِ»^(١).

ومن هنا نجد أن الله تعالى كتب على نفسه أنه يعوض الإنسان على عدة أمور، نذكر منها:

١ / إن الإنسان إذا التزم الواجبات، فإنه سينال الثواب من الله تعالى، رغم أنها واجبات، يلزمه كعبد أن يلتزمها، لكن الكرم الإلهي أبى إلا أن يثيب عليها.

فعن يزيد بن خليفة قال: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) يَقُولُ: «إِذَا قَامَ الْمُصَلِّي إِلَى الصَّلَاةِ نَزَلَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ مِنْ أَعْنَانِ السَّمَاءِ إِلَى أَعْنَانِ الْأَرْضِ، وَحَفَّتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ، وَنَادَاهُ مَلَكٌ: لَوْ يَعْلَمُ هَذَا الْمُصَلِّي مَا فِي الصَّلَاةِ مَا انْقَتَلَ»^(٢).

٢ / وإن الإنسان إذا ابتعد عن المحرمات فإن الله تعالى سيكافئه على ذلك أيضاً، رغم أنها محرمات عليه ويلزمه كعبد أن يبتعد عنها. وكمثال على ذلك النظر الحرام، فقد روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: «النظر سهم من سهام إبليس مسموم، وكم من نظرة أورثت حسرة طويلة»^(٣).

(١) نهج البلاغة (ج ٢ / ص ١٦٠).

(٢) الكافي للكليني ج ٣ ص ٢٦٥ باب فضل الصلاة ح ٤.

(٣) المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي (ج ١ / ص ١٠٩ و ١١٠ / باب عقاب النظر إلى النساء / ح ١٠١).

وعن الصادق عليه السلام قال: «من نظر إلى امرأة فرفع بصره إلى السماء أو غمض بصره، لم ترد إليه بصره حتى يزوجه الله من الحور العين»^(١).

٣ / وإذا التزم العبد ببعض المستحبات عوضه الله تعالى عنها بمكافئات عظيمة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ الله تعالى يباهي بالشابِّ العابد الملائكة، يقول: أنظروا إلى عبدي، ترك شهوته من أجلي»^(٢).

٤ / إن الله تعالى إذا ابتلى عبداً ببلاء وصبر العبد، فإن الله تعالى سيعوضه بدلاً منه تعويضاً عظيماً، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَعْفُورٍ قَالَ: شَكَوْتُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام مَا أَلْقَى مِنَ الْأَوْجَاعِ -وَكَانَ مُسْقِماً- فَقَالَ لِي: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا لَهُ مِنَ الْأَجْرِ فِي الْمَصَائِبِ، لَتَمَنَّى أَنَّهُ قُرِضَ بِالْمَقَارِضِ.^(٣)

وَعَنِ السَّكُونِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِذَا قُبِضَ وَلَدُ الْمُؤْمِنِ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ الْعَبْدُ- قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ: قَبِضْتُمْ وَلَدَ فُلَانٍ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ رَبَّنَا. قَالَ: فَيَقُولُ: فَمَا قَالَ عَبْدِي؟ قَالُوا: حَمْدَكَ وَاسْتَرْجَع. فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَخَذْتُمْ ثَمَرَةً قَلْبِهِ وَفُرَّةً عَيْنِهِ فَحَمَدَنِي وَاسْتَرْجَعَ، ابْنُوا لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ: بَيْتَ الْحَمْدِ.^(٤)

وَعَنْ مُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَيَعْتَذِرُ إِلَى عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ الْمُحَوِّجِ فِي الدُّنْيَا، كَمَا يَعْتَذِرُ الْأَخُ إِلَى أَخِيهِ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، مَا أَحْوَجْتُكَ فِي الدُّنْيَا مِنْ هَوَانٍ كَانَ بِكَ عَلَيَّ، فَارْفَعْ هَذَا السَّجْفَ فَانْظُرْ إِلَى مَا عَوَّضْتُكَ مِنَ الدُّنْيَا.

(١) مكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي ص ٢٣٦.

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي ١٥: ٧٧٦ / ح ٤٣٠٥٧.

(٣) الكافي الشيخ الكليني ج ٢ ص ٢٥٥ باب شدة ابتلاء المؤمن ح ١٥.

(٤) الكافي الشيخ الكليني ج ٣ ص ٢١٨ - ٢١٩ بَابُ الْمُصِيبَةِ بِالْوَلَدِ ح ٤.

قَالَ: فَيَرْفَعُ فَيَقُولُ: مَا ضَرَّرَنِي مَا مَنَعْتَنِي مَعَ مَا عَوَّضْتَنِي^(١).

٥ / إذا دعا العبد ولم يستجب الله تعالى له، فإنه سيعوضه بدلاً منه تعويضاً عظيماً، فعن الإمام زين العابدين (عليه السلام): «المؤمن من دعائه على ثلاث: إمّا أن يُدَّخِرَ له، وإمّا أن يُعَجِّلَ له، وإمّا أن يُدْفَعَ عنه بلاء يريد أن يصيبه»^(٢).

بل عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إنَّ المؤمنَ ليدعو الله (جلَّ جلاله) في حاجته، فيقول الله (جلَّ جلاله): أَعْرَوْا إجابته، شوقاً إلى صوته ودعائه، فإذا كان يوم القيامة قال الله (جلَّ جلاله): عبدي، دعوتني فأخَّرت إجابتك وثوابك كذا وكذا ودعوتني في كذا وكذا فأخَّرت إجابتك وثوابك كذا وكذا»، قال: «فَيَتَمَنَّى المؤمنُ أَنَّهُ لم يستجب له دعوة في الدنيا ممَّا يرى من حسن الثواب»^(٣).

والخلاصة :

إن الله تعالى شاء أن يعوض الإنسان على أعمال الخير رغم عدم استحقاقه التعويض على الله تعالى، كل ذلك رحمة من الله تعالى ومنة على عباده...

(١) الكافي للكليني ج ٢ ص ٢٦٤ بَابُ فَضْلِ فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ ح ١٨.

(٢) تحف العقول لابن شعبة الحرّاني: ٢٨٠.

(٣) الكافي للكليني ٢: ٤٩٠ و ٤٩١ / باب من أبطأت عليه الإجابة / ح ٩.

اختلاف درجات التعويض

إن التعويض الإلهي يختلف من فرد لآخر تبعاً لدرجة الإخلاص ولكيفية العمل وكمّه والآثار المترتبة عليه على مستوى الفرد والمجتمع...

ولذلك نجد أن التعويض الإلهي اختلفت درجاته:

فقد يكون التعويض دنيوياً: كما قال تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلَقٍ﴾^(١)

وقد روي عن النبي الأعظم ﷺ: «ما أحسن محسن من مسلم ولا كافر الا أثابه الله تعالى. قيل ما إثابة الكافر؟ قال: إن كان قد وصل رحماً، أو تصدق بصدقة، أو عمل حسنة، اثابه الله تعالى المال والولد والصحة، وأشباه ذلك. قيل وما إثابته في الآخرة؟ قال عذاب دون العذاب، وقرأ ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٢)». ^(٣)

وروي عن رسول الله ﷺ: «...وأما الكافر فيعطيه حسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له بها حسنة يعطى بها خيراً»^(٤).

وهذا ما ربما نجده عند كثير من الناس الذين يعملون لأجل الحصول على الأوسمة والسمعة والصيت الذائع، لأعمال خيرة يقومون بها، ولكنهم في يوم القيامة يكونون

(١) البقرة ٢٠٠.

(٢) غافر ٤٦.

(٣) كنز العمال للمتقي الهندي ج ٢ ص ٣٩ ح ٣٠٣٨.

(٤) مسند أحمد ج ٣ ص ١٢٣.

مفلسين، وذلك كمن يعمل الأعمال العظيمة من دون إخلاص أو من دون موالاة لأمر المؤمنين عليه السلام، وقد ورد عن عباد بن زياد قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا عباد، ما على ملة إبراهيم أحد غيركم، وما يقبل الله إلا منكم، ولا يغفر الذنوب إلا لكم».^(١)

وعن الحارث بن المغيرة، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالساً، فدخل عليه داخل فقال: «يا بن رسول الله ما أكثر الحاج العام؟! فقال: ان شاؤوا فليكثرُوا، وإن شاؤوا فليقلُوا، والله ما يقبل الله إلا منكم، ولا يغفر إلا لكم».^(٢)

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى الْمَوْقِفِ وَالنَّاسِ فِيهِ كَثِيرٌ، فَدَنَوْتُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقُلْتُ لَهُ: «إِنَّ أَهْلَ الْمَوْقِفِ لَكَثِيرٌ، قَالَ: فَصَرَفَ بَصَرَهُ فَأَدَارَهُ فِيهِمْ ثُمَّ قَالَ عليه السلام: اذْنُ مِنِّي يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، غُثَاءٌ يَأْتِي بِهِ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، لَا وَاللَّهِ مَا الْحُجُّ إِلَّا لَكُمْ، لَا وَاللَّهِ مَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ إِلَّا مِنْكُمْ».^(٣)

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ان المرائي ينادى يوم القيامة: يا فاجر، يا غادر، يا مرائي، ضلّ عملك وبطل أجرك، اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له».^(٤)

وقد يكون التعويض أخروياً: كما هو حال أكثر الأعمال الصالحة للمرء، وكما لو ظلم أحدٌ ولم يأخذ حقه ممن ظلمه إلى أن مات الظالم أو المظلوم.

وقد يكون التعويض دنيوياً وأخروياً: كمن يعمل أعمالاً حسنة، ويشاء الله تعالى أن يعجل له ثوابه في الدنيا ويدّخر له الثواب العظيم إلى الآخرة، كما ورد ذلك في حق النبي إبراهيم (على نبينا وآله وعليه السلام)، قال تعالى ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ يَكْفُرُ﴾.

(١) المحاسن أحمد بن محمد بن خالد البرقي ج ١ ص ١٤٧.

(٢) المحاسن أحمد بن محمد بن خالد البرقي ج ١ ص ١٦٧.

(٣) الكافي الشيخ الكليني ج ٨ ص ٢٣٧ ح ٣١٨.

(٤) مستدرک الوسائل الميرزا النوري ج ١ ص ١٠٧ ومنية المريد للشهيد الثاني ص ٣١٨.

سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١﴾.

وقال تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٢)
وقال تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٣)

وقد نصت الكثير من الروايات على هذا التعويض الذي يترتب على بعض الأعمال الصالحة، كصلة الرحم، وبر الوالدين.

«على أَنَّ الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام مستفيضة بأنَّ من الأعمال ما يوجب الثواب في الدنيا والآخرة، فمن ذلك ما رواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي جعفر عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «صلة الأرحام تُزَكِّي الأعمال، وتُثَمِّي الأموال، وتدفع البلوى، وتُيسِّر الحساب، وتُنسِي في الأجل» (٤).

وعنه عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أعجل الخير ثواباً صلة الرحم» (٥).

وبسند صحيح عن أبي عبد الله عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «من أغاث أخاه المؤمن اللهفان اللهفان عند جهده، فنفس كربته، وأعانه على نجاح حاجته، كتب الله تعالى له بذلك ثنتين وسبعين رحمة من الله، يعجل له منها واحدة يُصلح بها أمر معيشتة، ويدخر له إحدى وسبعين

(١) البقرة ١٣٠.

(٢) النحل ١٢٠ - ١٢٢.

(٣) العنكبوت ٢٦.

(٤) الكافي ٢: ١٥٠ / باب صلة الرحم / ح ٤.

(٥) الكافي ٢: ١٥٢ / باب صلة الرحم / ح ١٥.

رحمة لأفراع يوم القيامة وأهواله»^(١)...»^(٢).

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾: «فَأَمَّا الْحُسْنَىٰ فَالْجَنَّةُ، وَأَمَّا الزِّيَادَةُ فَالدُّنْيَا، مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَحَاسِبْهُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيُثْبِتُهُمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، يَقُولُ اللَّهُ: ﴿وَلَا يَرَهُقُ وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦]»^(٣).

و«في أمالي الصدوق عن الصادق عليه السلام في قوله عليه السلام: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، قال: «رضوان الله والجنة في الآخرة، والسعة في الرزق والمعاش، وحسن الخلق في الدنيا»^(٤).

وفي النبوي: «الحسنة في الدنيا الصِّحَّةُ والعافية، وفي الآخرة المغفرة والرحمة»^(٥)»^(٦).

وهذا الأخير هو ما حصل للإمام الحسين عليه السلام، فقد عوضه الله تعالى تعويضات في الدنيا وتعويضات في الآخرة، وهو ما سنعرفه من ثنايا البحث إن شاء الله تعالى.

(١) الكافي ٢: ١٩٩ / باب تفريج كرب المؤمن / ح ١.

(٢) رياض السالكين للمدني الشيرازي ٤: ٢٧١ و ٢٧٢.

(٣) تفسير القمي ١: ٣١١، عنه بحار الأنوار ٧: ٢٦٠ / ح ٦.

(٤) معاني الأخبار: ١٧٤ و ١٧٥ / باب معنى حسنة الدنيا وحسنة الآخرة / ح ١، ولم نجده في أماليه.

(٥) بحار الأنوار ٧٨: ١٧٤.

(٦) مستدرک سفينة البحار للنهاري ٢: ٢٩٠ و ٢٩١.

التعويضات الإلهية للإمام الحسين عليه السلام

عندما نطالع الروايات الشريفة، نجد أنها ذكرت العديد من التعويضات الإلهية التي من الله تعالى بها على الإمام الحسين عليه السلام عندما استجاب لأمر الله تعالى وجاهر بالجهاد، ومن تلك الروايات الشريفة ما ورد عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر وجعفر بن محمد عليهما السلام يقولان: «إن الله (تعالى) عوض الحسين عليه السلام من قتله أن جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعا عند قبره، ولا تعد أيام زائريه جائياً وراجعاً من عمره.

قال محمد بن مسلم: فقلت لأبي عبد الله عليه السلام: هذا الجلال ينال بالحسين عليه السلام فما له في نفسه؟ قال: إن الله (تعالى) ألحقه بالنبى صلى الله عليه وآله فكان معه في درجته ومنزلته، ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور ٢٠].^(١)

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «أَوَّلُ مَنْ تَنَشَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُ وَيَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام»^(٢).

وعنه عليه السلام: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يَكُرُّ فِي الرَّجْعَةِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام، وَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى يَسْقُطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الذي يلي حساب الناس قبل يوم القيامة الحسين بن

(١) الأمالي للشيخ الطوسي ص ٣١٧ ح ٦٤٤ / ٩١.

(٢) مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلبي: ٢٤.

(٣) مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلبي: ١٨.

علي عليه السلام، فأما يوم القيامة فإنما هو بعث إلى الجنة أو بعث إلى النار. ^(١)

وعن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «كان النبي صلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة رضي الله عنها، فقال لها: لا يدخل علي أحد. فجاء الحسين عليه السلام وهو طفل، فما ملكت معه شيئاً حتى دخل على النبي صلى الله عليه وآله، فدخلت أم سلمة على أثره، فإذا الحسين على صدره، وإذا النبي صلى الله عليه وآله يبكي، وإذا في يده شيء يقبله، فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا أم سلمة، إن هذا جبرئيل يخبرني أن هذا مقتول، وهذه التربة التي يقتل عليها، فضعيها عندك، فإذا صارت دماً فقد قتل حبيبي، فقالت أم سلمة: يا رسول الله، سل الله أن يدفع ذلك عنه. قال: قد فعلت، فأوحى الله ﷻ إلي: أن له درجة لا يناها أحد من المخلوقين، وأن له شيعة يشفعون فيشفعون، وأن المهدي من ولده، فطوبى لمن كان من أولياء الحسين، وشيعته هم والله الفائزون يوم القيامة...» ^(٢)

والملاحظ في هذه التعويضات أنه يمكن تقسيمها بنوعين من التقسيم:

التقسيم الأول: بلحاظ وقت التعويض:

وهنا نجد التعويضات ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ما تحصل في الدنيا، وقبل ظهور المهدي عليه السلام وهي: كون الأئمة من ذريته عليه السلام، وإجابة الدعاء عند قبره، والشفاء في تربته، وعدم احتساب أيام زائريه من أعمارهم.

النوع الثاني: ما يحصل عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام وبعده، وهي: رجعته عليه السلام مع أصحابه، وحسابه للناس قبل يوم القيامة.

(١) مختصر البصائر الحسن بن سليمان الحلبي ص ١٣٣.

(٢) الأمالي الشيخ الصدوق ص ٢٠٣ ح ٢١٩ / ٣.

النوع الثالث: ما يكون في الآخرة، وهو: أن له ﷺ درجة لا ينالها أحد من المخلوقين، وأن شيعته لهم الشفاعة المقبولة، وأن لهم طوبى، وأنهم هم الفائزون.

التقسيم الثاني: بلحاظ من يكون له التعويض.

وهنا نجد نوعين من التعويضات:

النوع الأول: ما يكون للإمام الحسين ﷺ في نفسه، وهو أن له درجة في الجنة لا تكون لأحد من المخلوقين، لم يكن لينالها إلا بالشهادة.

النوع الثاني: ما تُنال بالحسين ﷺ كما عبرت رواية محمد بن مسلم^(١)، وهي بقية التعويضات المتقدمة.

وسيكون ترتيب ذكرها على النحو التالي:

العوض الأول: الإمامة في ذريته.

وبضمنه نذكر أن الإمام المهدي ﷺ هو من ولد الإمام الحسين ﷺ وما يمكن أن نستفيدة من تركيز الروايات على التصريح بذلك.

العوض الثاني: الشفاء في تربته.

العوض الثالث: إجابة الدعاء عند قبره.

العوض الرابع: لا تعد أيام زائريه جائياً وراجعاً من عمره.

العوض الخامس: رجعة الإمام الحسين ﷺ.

وبضمنه نذكر: حساب الإمام الحسين ﷺ للناس قبل يوم القيامة

(١) حيث عبرت الرواية: قال محمد بن مسلم: فقلت لأبي عبد الله ﷺ: هذا الجلال ينال بالحسين ﷺ فما له في نفسه؟ قال: إن الله (تعالى) ألحقه بالنبي ﷺ فكان معه في درجته ومنزلته.

العوض السادس: شفاعة شيعة الإمام الحسين عليه السلام.

العوض السابع: طوبى لمن كان من أولياء الإمام الحسين عليه السلام.

العوض الثامن: درجة الإمام الحسين عليه السلام في الجنة.

العوض الأول: الإمامة في ذريته.

حسب حديث الإمام الباقر والصادق عليهما السلام فإن الله تعالى وتعويضاً للإمام الحسين عليه السلام من قتله فقد جعل الأئمة من ولده دون ولد الإمام الحسن عليه السلام، وهو ما أكدته الروايات الشريفة من أن الأئمة التسعة هم من أولاد الحسين عليه السلام...

ومن ذلك ما روي عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لما ولدت فاطمة عليها السلام الحسين عليه السلام، أخبرها أبوها عليه السلام أن أمته ستقتله من بعده... فقال: إن الله تعالى قد أخبرني أن يجعل الأئمة من ولده...»^(١)

وعن علي بن رثاب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لما أن حملت فاطمة عليها السلام بالحسين عليه السلام قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله تعالى قد وهب لك غلاماً اسمه الحسين، تقتله أمتي... إن الله تعالى قد وعدني فيه عدة... وعدني أن يجعل الإمامة من بعده في ولده.»^(٢)

وهذه المسألة صارت محلاً للتساؤل وربما الإشكال من المخالفين، فلماذا صار الأئمة من ولد الحسين دون الحسن عليه السلام؟ لماذا كان ذلك رغم أن الإمام الحسن عليه السلام أفضل من الإمام الحسين عليه السلام وأكبر عمراً منه؟

وهل هذا يعني إضافة خصوصية للحسين ما كان الحسن ليحوز عليها؟
طبعاً هذه المسألة ليست وليدة اليوم، وإنما أثرت حتى في زمن الأئمة عليهم السلام، وقد

(١) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص ٤١٥ ب ٤٠ ح ٦

(٢) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص ٤١٦ ب ٤٠ ح ٨

أجاب عنه الأئمة عليهم السلام وكفونا المؤنة بحمد الله، وهنا نقطتان:

النقطة الأولى: الإمامة اختيار إلهي.

إن من أهم ما يعتقد به أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام هو أن مسألة اختيار الإمام هي كمسألة اختيار النبي، لا بد أن تكون باختيار إلهي، ولا دخل للاختيار البشري فيها، ذلك لأن الله تعالى هو المطلع على حقائق الأمور وهو الذي يعلم بالأصلح والأكفأ لمثل هذه المهام... فكان من المنطقي جداً أن يكون اختيار أفراد معينين للقيام بمسؤولية النبوة أو الإمامة خاصاً بالله تعالى دون غيره من البشر، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾^(١).

وهذه المسألة هي أس الخلاف بيننا وبين العامة الذين طرحوا عدة طرق لاختيار الإمام، كالشورى واختيار أهل الحل والعقد والاستيلاء بالقوة وما شابه...

ومعه، فالسؤال المطروح هو أنه لماذا كان الأئمة من ذرية الإمام الحسين دون الإمام الحسن عليه السلام ليس سؤالاً منطقياً وليس صحيحاً بالموازين التي نعتقد بها.... وهذا جواب استفيد من بعض كلمات الأئمة عليهم السلام...

عن محمد بن أبي يعقوب البلخي قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام قلت له: لأي علة صارت الإمامة في ولد الحسين دون ولد الحسن عليه السلام؟ قال: لأن الله تعالى جعلها في ولد الحسين عليه السلام ولم يجعلها في ولد الحسن عليه السلام، والله لا يسأل عما يفعل.^(٢)

وفي الحقيقة، فإن هذا الجواب يعتمد على أصل الإيمان بحكمة الله تبارك وتعالى،

(١) الأحزاب ٣٦.

(٢) علل الشرائع الشيخ الصدوق ج ١ ص ٢٠٨..

والتي تعني أنه جل وعلا يضع الشيء في موضعه المناسب، وما دام كذلك فلا داعي للسؤال عن الحكمة، وإن لم نعلم بها، فإن عدم العلم بالحكمة لا ينفى عنها كما تقدم.

على أن الاعتقاد بفكرة التنصيب الإلهي للإمام، هو ما يورث الاطمئنان والثوق والركون للإمام وإن كان صبيّاً، ولقد حفظ لنا التاريخ نماذج من التسليم المطلق للمعصوم وأمره، أمثال علي بن جعفر، فعن محمد بن الحسن بن عمار، قال: كنت عند عليّ بن جعفر بن محمد جالساً بالمدينة - وكنت أقمت عنده سنتين، أكتب عنه ما سمع من أخيه، يعني أبا الحسن (ع) -، إذ دخل عليه أبو جعفر محمد بن عليّ الرضا (ع) المسجد - مسجد الرسول (ص) -، فوثب عليّ بن جعفر بلا حذاء ولا رداء، فقبل يده وعظمه، فقال له أبو جعفر (ع): «يا عمّ، اجلس رحمك الله»، فقال: يا سيدي، كيف أجلس وأنت قائم؟! فلما رجع عليّ بن جعفر إلى مجلسه جعل أصحابه يُوبّخونه ويقولون: أنت عمّ أبيه وأنت تفعل به هذا الفعل؟! فقال: اسكتوا، إذا كان الله (عز وجل) - وقبض على لحيته - لم يُؤْهِل هذه الشيبة وأهل هذا الفتى ووضعته حيث وضعه أنكر فضله؟! نعوذ بالله ممّا تقولون! بل أنا له عبد^(١).

وعلى نفس المنوال ما روي عن ابن نوح: وسمعت جماعة من أصحابنا بمصر يذكرون أن أبا سهل النوبختي سُئِلَ، فقليل له: كيف صار هذا الأمر إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك؟ فقال: هم أعلم وما اختاروه، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم، ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطني الحجة (عليه السلام) مكانه) لعلّي كنت أدلّ على مكانه، وأبو القاسم فلو كانت الحجة تحت ذيله وقُرْضَ

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ١ / ص ٣٢٢ / باب الإشارة والنصّ على أبي جعفر الثاني (ع) / ح

بالمقاريض ما كشف الذيل عنه - أو كما قال -^(١).

النقطة الثانية : تراكم الخصوصيات لا يلزم الأفضلية دوماً.

إن كون الأئمة من ذرية الإمام الحسين دون الحسن عليه السلام هو وإن كان يمثل خصوصية للإمام الحسين عليه السلام، إلا أن ذلك لا يعني أنها تجعله أفضل من الإمام الحسن عليه السلام، بل يبقى في اعتقادنا أن الإمام الحسن أفضل من الإمام الحسين عليه السلام.... وهذه المسألة ليست خاصة بالإمامين الحسين عليه السلام، وإنما هي قد جرت في بعض الأنبياء السابقين... وهذا ما ذكره الأئمة عليهم السلام أيضاً...

عن هشام بن سالم قال: قلت للصادق جعفر بن محمد عليه السلام: الحسن أفضل أم الحسين؟ فقال: «الحسن أفضل من الحسين». [قال:] قلت: فكيف صارت الإمامة من بعد الحسين في عقبه دون ولد الحسن؟ فقال: «إن الله تبارك وتعالى أحب أن يجعل سنة موسى وهارون جارية في الحسن والحسين عليه السلام، ألا ترى أنها كانا شريكين في النبوة كما كان الحسن والحسين شريكين في الإمامة وإن الله تعالى جعل النبوة في ولد هارون ولم يجعلها في ولد موسى وإن كان موسى أفضل من هارون عليه السلام، قلت: فهل يكون إمامان في وقت واحد؟ قال: لا إلا أن يكون أحدهما صامتا مأموما لصاحبه، والآخر ناطقا إماما لصاحبه، فأما أن يكونا إمامين ناطقين في وقت واحد فلا».

قلت: فهل تكون الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين عليه السلام؟ قال: لا إنما هي جارية في عقب الحسين عليه السلام كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف ٢٨] ثم هي جارية في الأعقاب وأعقاب الأعقاب إلى يوم القيامة.^(٢)

(١) الغيبة للشيخ الطوسي (ص ٣٩١ / ح ٣٥٨).

(٢) كمال الدين ونظام النعمة للشيخ الصدوق ص ٤١٦ و ٤١٧ ب ٤٠ ح ٩.

بين الإمام الحسين والإمام المهدي عليه السلام

من الروايات التي بينت ما عوضه الله تعالى للإمام الحسين عليه السلام هو ما روي أنه قال رسول الله ﷺ لأم سلمة في حق الإمام الحسين عليه السلام: «أن له درجة لا يناها أحد من المخلوقين، وأن له شيعة يشفعون فيشفعون، وأن المهدي من ولده، فطوبى لمن كان من أولياء الحسين، وشيعته هم والله الفائزون يوم القيامة...»^(١).

وقد يُتساءل فيقال:

إن الروايات أكدت أن الأئمة التسعة كلهم من ذرية الإمام الحسين عليه السلام فلماذا أكدت الرواية على أن المهدي من ولده؟

في مقام الجواب ستحدث في جهتين:

الجهة الأولى: انتساب الإمام المهدي عليه السلام إلى الإمام الحسين عليه السلام

من المسلّم به والواضح أن الإمام المهدي عليه السلام هو من ذرية الإمام الحسين عليه السلام، ولكن ذهب الشاذ النادر من العامة إلى أن المهدي عليه السلام هو من ذرية الإمام الحسن عليه السلام.

وفي الحقيقة، فإن الثابت بروايات الفريقين هو أن المهدي عليه السلام من سلالة الإمام الحسين عليه السلام، وإن كانت هنالك روايات ضعيفة غير معتمدة لدى أهل السنة تذكر بأنه من سلالة الإمام الحسن عليه السلام، وهذا:

١/ إمّا هو محمول على الإمام الحسن أبيه أي الإمام الحسن العسكري بن الإمام علي الهادي عليه السلام.

٢/ وإمّا هو من خطأ النساخ، فإن الفرق ضعيف بين الحسن والحسين خصوصاً

(١) الأماشي الشيخ الصدوق ص ٢٠٣ ح ٢١٩ / ٣.

قبل اختراع التنقيط على الحروف.

٣/ ويمكن أيضاً معالجة الرواية باعتبار: أن الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) هو أحد آباء وأجداد الإمام المهدي (عليه السلام) من ناحية الأم، وذلك أن أم الإمام الباقر (عليه السلام) علوية من نسل الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) وهي السيدة فاطمة ابنة الإمام الحسن (عليه السلام) وكانت ذات منزلة رفيعة، فقد روي عن أبي الصباح عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «كَانَتْ أُمِّي قَاعِدَةً عِنْدَ جِدَارٍ، فَتَصَدَّعَ الْجِدَارُ، وَسَمِعْنَا هَذَّةً شَدِيدَةً فَقَالَتْ بِيَدِهَا: لَا وَحَقَّ الْمُصْطَفَى مَا أَذِنَ اللَّهُ لَكَ فِي السَّقُوطِ، فَبَقِيَ مُعَلَّقًا فِي الْجَوْ حَتَّى جَازَتْهُ، فَتَصَدَّقَ أَبِي عَنْهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ».

قال أبو الصباح: وَذَكَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) جَدَّتَهُ أُمَّ أَبِيهِ يَوْمًا فَقَالَ: «كَانَتْ صِدِّيقَةً، لَمْ تُدْرِكْ فِي آلِ الْحَسَنِ امْرَأَةً مِثْلَهَا».^(١)

فلأجل تأكيد هذه الحقيقة، نجد أن الرسول الأعظم (عليه السلام) بين أن مما عوضه الله تبارك وتعالى للإمام الحسين (عليه السلام) من قتله هو أن المهدي (عليه السلام) من ولده.

الجهة الثانية: من أوجه الشبه بين الإمام الحسين والإمام المهدي (عليه السلام)

ولعل التأكيد على ذلك لأجل وجود العديد من أوجه الشبه بين الإمامين الحسين والمهدي (عليه السلام) تكشف عن العلاقة التفاعلية بين حركتهما، وسنقتصر على بيان وجه واحد هنا، يتعلق بمسألة تعامل الإمام الحسين (عليه السلام) والإمام المهدي (عليه السلام) مع الواقع والحياة، وما يترتب عليه من ضرورة قيام الناس بمهمة متابعتهم ومشايعتهم، وسيتبين: أن نصرة أبي عبد الله (عليه السلام) تتمثل بالقيام بالمسؤولية، وهي نفسها ما يلزم على المتظرين القيام به تجاه الإمام المهدي (عليه السلام).

(١) الكافي للكليني ج ١ ص ٤٦٩ بَابُ مَوْلِدِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ (عليه السلام) / ح ١.

دور الدين في الحياة.

تختلف نظرة الناس في دور الدين في الحياة، وعلى أساس اختلاف هذه النظرة اختلفت طريقة التعاطي معه، إفراطاً وتفريطاً واعتدالاً، والذي يمكن رصده هنا هو ثلاثة توجهات:

التوجه الأول: قطع علاقة الدين بالحياة.

بمعنى أنه وُجد على أرض الواقع من يتعامل مع الدين على أنه مجرد نظريات لا علاقة لها بالحياة، فاعتبروا الدين:

١/ مجرد طقوس تؤدي في مكان معين وفي زمان معين، ولا وجود له خارج ظرفه الزمكاني ذاك.

٢/ مجرد علاقة خاصة بين العبد وربّه، فلا يجوز والحال هذي تنزيل الدين إلى تعامل الفرد مع الإنسان، فالتعامل مع الإنسان يكون وفق القانون البشري البحت، ووفق ما يتصالح عليه الناس، ولو كان هو الربا أو الاستعمار أو استنزاف طاقات الآخر.

٣/ أن الدين عبارة عن علاقة غيبية بحتة، بحيث لا يكون المرء متديناً إلا إذا قطع جميع علاقاته بالبدن، واللذائذ المادية، فالدين هي الرهينة.

وكل هذه الصور وأمثالها تسعى إلى قطع علاقة الدين بالحياة، وأن الحياة لا بد أن تسير بعيداً عن نظريات الدين.

التوجه الثاني: أن الدين بديل عن إرادة الإنسان.

وأن الله تعالى يقوم بكل شيء بدلاً عن الإنسان.

يظهر من بعض التصرفات والأقوال التي تصدر من هنا وهناك، أن البعض يتصور

أن الدين - وحتى يكون ديناً حقاً، وكاشفاً عن ارتباط مباشر بالسماء - فإنه لا بد أن يقوم بكل ما يريده الإنسان، وبطريقة (كن فيكون)، بحيث يتصور أن الدين لو لم يوفر له ما يرغب به، فهذا كاشف عن كونه مزيفاً، أو على الأقل هو دين لا يفي بمتطلبات الحياة.

يتجلى هذا التوجه عندما ننظر مريضاً قد يئس الأطباء من علاجه، فيقول: أين الله؟ لماذا لا يعالجني وقد عجز الأطباء عني؟

وهكذا عندما نسمع أن يزيد أمر برمي الكعبة بالمنجنيق، فانهدمت، وأُحرقت بعض كسوتها^(١)، فيأتي أحدهم ويقول: أين الله تعالى ليدافع عن الكعبة؟

أو عندما يعق الولد أباه أو أمه، فيرفع أحدهما يديه إلى السماء طالباً من الله تعالى تنفيذ أمره وبسرعة فائقة ليهلك ولده عاجلاً غير آجل! فإن لم تحصل الإجابة، عتب على السماء وأنها لم تقف إلى جانبه ضد ولده العاق!

وهكذا لو حصل مرض ما، وعجز البشر عن وجود علاج له، قد يعترض البعض فيقول: أين الخالق عنا ليركنا نواجه المرض لوحدنا، لم لا يقف معنا في محنتنا؟!

أو عندما نجد شاباً فقيراً، وعندما نطلب منه أن يخرج للعمل، فيقول: أنا لا أخرج حتى يرزقني الله تبارك وتعالى، وكأنه يريد من الله تبارك وتعالى أن يرمي له الأموال ويتوسل له بأن يتفضل عليه بقبولها!

في الحقيقة، أن كل هذه التساؤلات ناشئة من تصور أن الدين والسماء لا بد أن يكون طوع أمر البشر، وأن عليه أن يستجيب لأي طلب يريده الإنسان.

ولا ريب في بطلان هذا التصور، ويكفينا الواقع شاهداً على ذلك، فالدين لم يتدخل بطريقة المعجزة في عامة مفردات الحياة.

(١) تفسير الميزان للسيد الطباطبائي ج ٣ ص ٣٥٩.

وهو تبرير لكسل البعض وتعاجزهم عن خوض لجج الحياة.

وقد أشارت بعض النصوص الدينية إلى بطلان هذه النظرة تجاه الدين.

فقد روي عن الوليد بن صبيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: صَحِبْتُهُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَجَاءَ سَائِلٌ فَأَمَرَ أَنْ يُعْطَى، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَأَمَرَ أَنْ يُعْطَى، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَأَمَرَ أَنْ يُعْطَى، ثُمَّ جَاءَ الرَّابِعُ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يُشْبِعُكَ اللَّهُ. ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ: أَمَا إِنَّ عِنْدَنَا مَا نُعْطِيهِ، وَلَكِنْ أَخْشَى أَنْ نَكُونَ كَأَحَدِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ دَعْوَةٌ: رَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا فَأَنْفَقَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُ. وَرَجُلٌ يَدْعُو عَلَى امْرَأَتِهِ أَنْ يُرِيحَهُ مِنْهَا، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَمْرَهَا إِلَيْهِ. وَرَجُلٌ يَدْعُو عَلَى جَارِهِ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ السَّبِيلَ إِلَى أَنْ يَتَحَوَّلَ عَنْ جَوَارِهِ وَيَبِيعَ دَارَهُ. ^(١)

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «أربعة لا يُسْتَجَابُ لَهُمْ دَعْوَةٌ: رجل جالس في بيته يقول: اللهم ارزقني، فيقال له: ألم آمرك بالطلب؟! ورجل كانت له امرأة فدعا عليها، فيقال له: ألم أجعل أمرها إليك؟! ورجل كان له مال فأفسده فيقول: اللهم ارزقني، فيقال له: ألم آمرك بالاقتصاد؟! ألم آمرك بالإصلاح؟! ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامٌ﴾ ^(٢)، ورجل كان له مال فأدانه بغير بيئته، فيقال له: ألم آمرك بالشهادة؟!» ^(٣).

وروي عن علي بن عبد العزيز قال: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَا فَعَلَ عُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ؟ قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَقْبَلَ عَلَى الْعِبَادَةِ وَتَرَكَ التَّجَارَةَ! فَقَالَ: وَيْحَهُ، أَمَا عَلِمَ أَنَّ تَارِكَ الطَّلَبِ لَا يُسْتَجَابُ لَهُ، إِنَّ قَوْمًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ

(١) الكافي ٢: ٥١١ / باب من لا تُستجاب دعوته / ح ٢.

(٢) الفرقان: ٦٧.

(٣) الكافي ٢: ٥١٠ / باب من لا تُستجاب دعوته / ح ١.

يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿١﴾ أَغْلَقُوا الْأَبْوَابَ وَأَقْبَلُوا عَلَى الْعِبَادَةِ وَقَالُوا: قَدْ كُفِينَا. فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا حَمَلَكُمْ عَلَى مَا صَنَعْتُمْ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُكْفَلُ لَنَا بِأَرْزَاقِنَا فَأَقْبَلْنَا عَلَى الْعِبَادَةِ. فَقَالَ: إِنَّهُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ، عَلَيْكُمْ بِالطَّلَبِ. ^(١)

التوجه الثالث: الأمر بين الأمرين.

بمعنى: أن الدين طرح نظريات تشبع الحاجات العامة للبشرية، ولم يتدخل بإرادته التي تسلب إرادة الإنسان في إدارة الحياة، بل ترك الأمر للإنسان ليقوم بما عليه من مسؤولية بإرادته، فيتدخل في مجالات معينة، ويترك المجالات الأخرى لإرادة الإنسان. وبعبارة أخرى: أن هناك مساحتين:

مساحة الدين: وتتمثل ببيان النظريات التي ترسم لوحة السعادة على الأرض، وتخط الطريق للوصول إلى السعادة في الآخرة.

ومساحة إرادة الإنسان: وتتمثل بالتطبيق التام لنظريات الدين، وهي تقتضي فيما تقتضيه تفعيل إرادة الإنسان في خوض لجج الحياة واستكشاف أسرارها والعمل على ترويض الهائج منها.

فالمرض يستدعي استنفار الطاقات الطبية لاكتشاف العلاج المناسب له.

المشكلة الاجتماعية تقتضي مشاوره ذوي العقول لمعرفة المخرج منها.

الرزق له أبواب لا بد أن يطرقها الفقير كيما يحصل على شيء من متاع الدنيا.

وهكذا.

(١) الكافي للكليني ج ٥ ص ٨٤ باب الرزق من حيث لا يحتسب ح ٥.

إن فهم هذه الحقيقة يوفر الجواب التفصيلي عن بعض التساؤلات التي نواجهها في علاقتنا مع الدين، من قبيل:

أولاً: كيف كفر أو انحرف من كان يرى المعصوم؟

عدم اهتداء بعض الناس ممن عاصروا ظهور المعصوم، فإن تواجد المعصوم لا يعني أنه يجبر الناس على الهداية، وإنما هو يوضح الطريق لهم، على طريقة: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾^(١).

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ. إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٢).

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(٤).

(١) البقرة ٢٧٢.

(٢) القصص ٥٥ و ٥٦.

(٣) الأنعام ٥٢.

(٤) المائدة ٤٨..

ثانياً^(١) : لماذا ينحرف البعض بعد وقوع الصيحة؟

مع قيام الصيحة على الإعجاز، كيف تُفسَّر إغواء إبليس بصيحته بعد تلك الصيحة، والفرض أنَّ صيحة إبليس ليست إعجازية، وقد وصفتها الروايات بأنها تصدر من الأرض في إشارة لذلك؟

إنَّ الروايات التي ذكرت قيام الصيحة، ذكرت إلى جنبها أنَّ إبليس سيقوم بصيحة مناوئة ومخالفة للصيحة الجبرائية، ممَّا يُؤدِّي إلى انحراف البعض رغم سماعهم الصيحة الإعجازية، فقد ورد عن زرارة بن أعين، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ينادي من السماء: إنَّ فلاناً هو الأمير، وينادي منادي: إنَّ علياً وشيعته هم الفائزون»، قلت: فمن يقاتل المهدي بعد هذا؟ فقال: «إنَّ الشيطان ينادي: إنَّ فلاناً وشيعته هم الفائزون - لرجل من بني أمية...»^(٢)

وعن زرارة بن أعين، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: عجبت أصلحك الله! وإنِّي لأعجب من القائم كيف يقاتل مع ما يرون من العجائب، من خسف البيداء بالجيش، ومن النداء الذي يكون من السماء؟ فقال: «إنَّ الشيطان لا يدعهم حتَّى ينادي كما نادى برسول الله صلَّى الله عليه وآله يوم العقبة...»^(٣)

ومن هنا، قد يتساءل البعض عن السبب الذي يعدم تأثير إعجاز الصيحة في بعض النفوس؟

(١) من بحث (الصيحة، قراءة في أعماق الصوت) للشيخ حسين عبد الرضا الأسدي، والمنشور في مجلة الموعود العدد ٢/ ذو الحجة / ١٤٣٧ هـ التي تصدر عن مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٧٢ و ٢٧٣ / باب ١٤ / ح ٢٨.

(٣) الغيبة للنعماني: ٢٧٢ و ٢٧٣ / باب ١٤ / ح ٢٩.

الجواب:

إنَّ إعجازها إنَّما هو في صدورها لا في هدايتها، فتبقى الهداية تابعة لإرادة الإنسان نفسه، فهي لا تجربهم على الهداية، فتبقى هدايتها فرع المعرفة المسبقة، وفرع إرادة الإنسان، وحتَّى مع المعرفة المسبقة، يبقى الإنسان معرَّضاً للضلال، بل وحتَّى الجحود. وبعبارة أوضح: إنَّ قيام المعجزة لا يجبر الناس على الهداية، فإنَّ الجبر خلاف نظام التشريع، الذي يقوم على أن يكون للإنسان الدور الفعَّال والمؤثِّر في عملية الهداية أو الضلال، فالإنسان هو صاحب القرار الأخير، وهو الذي يقوم بأفعال الخير أو الشرِّ، وهو المسؤول الأوَّل والأخير عنها، قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾^(١).

فقيام المعجزات لا يعني أكثر من دليل إثباتي على صدق الدعوة، ولا يعني بحالٍ جبر الأفراد وجبرهم لطريق الهداية رغماً عنهم، فقيامها لا يسلب الاختيار، وبالتالي تبقى الخطوة الأخيرة بعد قيامها من شأن الإنسان نفسه، فيمكن تصوُّر انحراف البعض رغم صدور الصيحة، تماماً كما انحرف الكثيرون ممَّن عاصروا وعاشوا ورأوا بأنَّ أعينهم عشرات بل مئات المعجزات تصدر من النبيِّ الأكرم ﷺ، ولكن قيامها لم يمنعهم من الانحراف، إلى الحدِّ الذي سيُذاد العديد منهم عن الحوض، لما أحدثوه بعد النبيِّ الأكرم ﷺ^(٢).

(١) النجم: ٣٩ - ٤١.

(٢) في مسند أحمد بن حنبل ٢: ٣٠٠: «أَلَا لِيُذَادَنَّ رَجَالٌ مِنْكُمْ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالَّ، أَنْادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ، فَيَقَالُ: إِنَّهُمْ بَدَلُوا بِعَدِكَ، فَأَقُولُ سَحَقًا سَحَقًا...»، وورد هذا المعنى أيضاً وبألفاظ قريبة جدًّا من هذا اللفظ في العديد من المصادر العامَّة الأخرى، منها: صحيح مسلم ١: ١٥٠ و ١٥١؛ سنن ابن ماجه ٢: ١٤٤٠.

ثالثاً: لماذا طالَت الغيبة؟

إن الإمام المهدي عليه السلام يستعمل الطريق الطبيعي في عامة حركته، وهو ما يكشف عن واحد من أسباب طول الغيبة، فإنه لو كان يريد إقامة العدل بطريق المعجزة لفعل ذلك من أول يوم في إمامته، بل لفعله قبله رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكنه يريد إقامة ذلك بالطريق الطبيعي، مما يعني أنه يريد للناس أن يصلوا إلى مرحلة يتحملون معها ما عليهم من مسؤولية مساندة الحق والتضحية من أجله والقيام بما تفرضه عليهم السماء تجاه ذلك، وهذا بطبيعته يستلزم وقتاً من الغربة والتمحيص والاختبارات حتى يتميز الخبيث من الطيب، مما يعني أن جزءاً من علة الظهور المقدس ملقاة على عاتق الناس، وهو ما تشير إليه بعض الروايات الشريفة.

روي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ الصِّقْلِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَالْحَارِثُ بْنُ الْمُغِيرَةِ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا جُلُوساً وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَسْمَعُ كَلَامَنَا، فَقَالَ لَنَا: «فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتُمْ؟ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، لَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ مَا تَمْدُونُ إِلَيْهِ أَعْيُنُكُمْ حَتَّى تُغْرَبُوا، لَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ مَا تَمْدُونُ إِلَيْهِ أَعْيُنُكُمْ حَتَّى تُمَحَّصُوا، لَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ مَا تَمْدُونُ إِلَيْهِ أَعْيُنُكُمْ حَتَّى تُمَيَّزُوا، لَا وَاللَّهِ مَا يَكُونُ مَا تَمْدُونُ إِلَيْهِ أَعْيُنُكُمْ إِلَّا بَعْدَ إِيَاسٍ، لَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ مَا تَمْدُونُ إِلَيْهِ أَعْيُنُكُمْ حَتَّى يَشْقَى مَنْ يَشْقَى وَيَسْعَدَ مَنْ يَسْعَدُ»^(١).

ومما يدل بوضوح على أن للمجتمع دوراً في ما يتعلق بالظهور، هو أن الروايات دلت على وجود حركات تمهد الأمر للإمام المهدي عليه السلام قبيل الظهور، من قبيل حركة البياني والخراساني، والموطئين وما ما شابه، فقد روي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «كأنني بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلا يعطونه، ثم يطلبونه فلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم فيعطون ما سألوه فلا يقبلونه حتى يقوموا ولا

(١) الكافي للكليني ج ١ ص ٣٧٠ و ٣٧١ بَابُ التَّمْحِصِ وَالْإِمْتِحَانِ ح ٦.

يدفعونها إلا إلى صاحبكم قتلهم شهداء أما إني لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر»^(١).

رابعاً: قتل الأنبياء والمعصومين عليهم السلام.

إننا وإن كنا نؤمن بأن للمعصومين عليهم السلام الولاية التكوينية التي تعطيهم نوعاً من القدرة على التصرف في مجريات الكون بإذن الله تبارك وتعالى، ووفق هذه القدرة يمكن للمعصوم أن يتغلب على كل أعدائه بالمعجزة والكرامة من دون أن يجاهد وينصب ويتعب.

إلا أننا وجدنا أن المعصومين قاطبة -الأنبياء والأئمة- كانوا يتعاملون في الحياة وفق النظام الطبيعي العادي، وما كانوا يستعملون المعجزة إلا نادراً، وإلا إذا اقتضت الحكمة ذلك، ولذلك وجدنا أن الأنبياء قُتلوا وشُردوا وأوذوا كثيراً... قال تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(٢).

روي عن أحمد بن سليمان القمي الكوفي، قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «إن كان النبي من الأنبياء ليُبتلى بالجوع حتى يموت جوعاً، وإن كان النبي من الأنبياء ليُبتلى بالعطش حتى يموت عطشاً، وإن كان النبي من الأنبياء ليُبتلى بالعراء حتى يموت عرياناً، وإن كان النبي من الأنبياء ليُبتلى بالسقم والأمراض حتى تتلفه، وإن كان النبي من الأنبياء ليأتي قومه فيقوم فيهم، يأمرهم بطاعة الله ويدعوهم إلى توحيد الله وما معه مبيت ليلة، فما يتركونه يفرغ من كلامه ولا يستمعون إليه حتى

(١) الغيبة للنعمان ص ٢٨١ و ٢٨٢ ب ١٤ ح ٥٠

(٢) البقرة ٢١٤.

يقتلوه، وإنما يبتلي الله تبارك وتعالى عباده على قدر منازلهم عنده»^(١).

وعلى هذا الأساس، فإن الإمام الحسين (عليه السلام) كان يتعامل مع القوم في معركته وفق النظام العادي والطبيعي للعالم، ولذلك قُتل هو وأهل بيته (عليهم السلام)، وإلا كان بإمكانه أن يتعامل معهم بالمعجزة ويفنيهم.

نعم، الإمام الحسين (عليه السلام) ومن باب إلقاء الحجة عليهم، فقد أراهم بعضاً من معجزاته وكراماته كما تذكر النصوص التاريخية، من قبيل:

ما روي من أنه أقبل رجل من معسكر عمر بن سعد، يقال له: مالك بن حوزة على فرس له حتى وقف عند الخندق وجعل ينادي: أبشر يا حسين! فقد تلفحك النار في الدنيا قبل الآخرة. فقال له الإمام الحسين (عليه السلام): «كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، إِنِّي قَادِمٌ عَلَى رَبِّ رَحِيمٍ وَشَفِيعٌ مُطَاعٌ، وَذَلِكَ جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ».

ثم قال الإمام الحسين: «مَنْ هَذَا الرَّجُلُ؟» فقالوا: هذا مالك بن حوزة. [وفي نقل آخر أنه عبد الله بن حوزة]

فقال الإمام الحسين (عليه السلام): «اللَّهُمَّ! خُزْهُ إِلَى النَّارِ، وَأَذِقْهُ حَرَّهَا فِي الدُّنْيَا قَبْلَ مَصِيرِهِ إِلَى الْآخِرَةِ!» قال: فلم يكن بأسرع أن شبت به الفرس فألقته في النار، فاحترق.

قال: فخر الإمام الحسين (عليه السلام) لله ساجداً مطيعاً، ثم رفع رأسه وقال: يَا لَهَا مِنْ دَعْوَةٍ مَا كَانَ أَسْرَعَ إِجَابَتِهَا! قال: ثم رفع الحسين صوته ونادى: «اللَّهُمَّ، إِنَّا أَهْلُ نَبِيِّكَ وَدُرِّيَّتِهِ وَقُرَابَتِهِ، فَاقْصِمْ مِنْ ظَلَمْنَا وَغَضَبْنَا حَقَّنَا، إِنَّكَ سَمِيعٌ مُجِيبٌ»^(٢).

وفي رواية أخرى أنه «أقبل رجل من عسكر عمر بن سعد على فرس له، يقال له:

(١) أمالي المفيد: ٣٩/ ح ٦.

(٢) الفتوح لأحمد بن اعثم الكوفي ج ٥ ص ٩٦ و ٩٧.

ابن أبي جويرية المزني، فلما نظر إلى النار تتقد صفق بيده، ونادى: يا حسين وأصحاب حسين، أبشروا بالنار، فقد تعجلتموها في الدنيا! فقال الحسين عليه السلام: من الرجل؟ فقيل: ابن أبي جويرية المزني. فقال الإمام الحسين عليه السلام: اللهم أذقه عذاب النار في الدنيا. فنفر به فرسه وألقاه في تلك النار فاحترق».

ثم برز من عسكر عمر بن سعد رجل آخر، يقال له: تميم بن حصين الفزاري، فنادى: يا حسين ويا أصحاب حسين، أما ترون إلى ماء الفرات يلوح كأنه بطون الحيات؟ والله لا ذقت منه قطرة حتى تذوقوا الموت جرعاً. فقال الإمام الحسين عليه السلام: من الرجل؟ فقيل: تميم بن حصين. فقال الإمام الحسين عليه السلام: هذا وأبوه من أهل النار، اللهم اقتل هذا عطشاً في هذا اليوم. قال: فخنقه العطش حتى سقط عن فرسه، فوطأته الخيل بسنابكها فمات.

ثم أقبل رجل آخر من عسكر عمر بن سعد، يقال له محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، فقال: يا حسين بن فاطمة، أية حرمة لك من رسول الله ليست لغيرك؟ قتلا الإمام الحسين عليه السلام هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ^(١)، ثم قال: والله إن محمداً لمن آل إبراهيم، وإن العترة الهاذية لمن آل محمد، من الرجل؟ فقيل: محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، فرفع الإمام الحسين عليه السلام رأسه إلى السماء، فقال: اللهم أر محمد بن الأشعث ذلاً في هذا اليوم، لا تعزه بعد هذا اليوم أبداً. فعرض له عارض فخرج من العسكر يتبرز، فسلط الله عليه عقرباً فلدغته، فمات بادي العورة.^(٢)

ولذلك أيضاً وجدنا أن الإمام الحسين عليه السلام ضحّى بأولاده وأهل

(١) آل عمران ٣٣ و ٣٤.

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق ص ٢٢١ و ٢٢٢

بيته وأصحابه، وجرى على عائلته ما جرى من بعده، كل ذلك لأن الدين لا يسلب إرادة الإنسان، وإنما يفسح المجال له لتفعيلها، والهدف: ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

ومن كل ذلك يتبين: أن من جهات الشبه بين الإمام الحسين (عليه السلام) والإمام المهدي (عليه السلام) هو أن للناس دوراً في قيامهما، وأنهما (عليهما السلام) يسيران بالناس وفق نظام الأمر بين الأمرين في العلاقة مع الدين، وبالتالي ينكشف لنا وجود علاقة تكاملية وتفاعلية بين حركتهما (عليهما السلام).

العوض الثاني: الشفاء في تربته

حتى نصل إلى معنى محصل من هذا التعويض الإلهي للإمام الحسين عليه السلام، نذكر الأمور التالية:

الأمر الأول: سنة التغيير في الحياة.

من السنن التي أجراها الله تعالى في الكون هي سنة عدم الثبات، فالإنسان من اللحظة التي يولد فيها وإلى أن يموت لا يبقى على حال واحدة، بل الحياة متغيرة بأهلها من حال إلى حال، وهذا ما نشاهده بالوجدان، وهو ما حكته لنا الروايات الشريفة بأساليب مختلفة، فمثلاً يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ... «أَوَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا، يُصْبِحُونَ وَيُمْسُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى، فَمَيِّتٌ يُبْكِي وَآخَرٌ يُعَزِّي، وَصَرِيحٌ مُبْتَلًى وَعَائِدٌ يَعُودُ، وَآخَرٌ بِنَفْسِهِ يَجُودُ، وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ، وَعَلَى أَثَرِ الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي...»^(١)

ولما تكاثرت القوم على الإمام الحسين عليه السلام وتقدم إليهم ورأى صفوفهم كالسيل والليل، فخطب فقال: «الحمد لله الذي خلق الدنيا، فجعلها دار فناء وزوال، متصرفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرته، والشقي من فتنه، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور...»^(٢)

ومن تلك السنن التي جعلها الله تعالى في الحياة، والتي تعبر عن تغير مستمر في

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ١٩٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب ابن شهر آشوب ج ٣ ص ٢٤٩.

حياة الإنسان هي: سنة الصحة والمرض، فالإنسان ليس دائماً في حالة واحدة منهما، فمرة يكون صحيحاً وأخرى يكون عليلًا... وهذه السنة واقعية ولا تحتاج إلى بيان...

إن هذه الحالة من التغير بين الصحة والمرض تشير فيما تشير إليه إلى ضعف الإنسان، وفقره في نفسه، فالإنسان لا يمكنه أن يدفع المرض عن نفسه، خصوصاً مع تنوع الأمراض ومفاجأتها للمرضى ووجود أمراض عجز الطب البشري عن علاجها، فعندما يلتفت المرء إلى ذلك عليه أن يعيش حالة من الفزع والخوف، وفي نفس الوقت حالة من الرجاء والاستكانة إلى الله تعالى، وأن يسأله العافية...

إن الله تعالى جعل تمام النعمة في الحياة الدنيا هي في الصحة والأمان، كما أن تمام النعمة في الآخرة في دخول الجنة، وفي نفس الوقت جعل من المرض فرصة للإنسان ليعوضه الله تعالى عنه بأمور، فإن ساعات المرض يذهبن ساعات الخطايا.

فعن أبي عبد الرحمن، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «من اشتكى ليلة فقبلها بقبولها وأدى إلى الله شكرها كانت له كفارة ستين سنة»، قال: قلت: وما معنى قبلها بقبولها؟ قال: «صبر على ما كان فيها»^(١).

وعن محمد بن مسلم، قال: كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل يونس بن يعقوب، فرأيت يثن، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «ما لي أراك تثن؟»، قال: طفل لي تأذيت به الليل أجمع، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «يا يونس، حدّثني أبي محمد بن عليّ، عن آبائه عليهم السلام، عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله أن جبرئيل نزل عليه ورسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ (صلوات الله عليهما) يثنان، فقال جبرئيل عليه السلام: يا حبيب الله، ما لي أراك تثن؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: طفلان لنا تأذينا بكائهما، فقال جبرئيل: مه، يا محمد فإنه سيبعث هؤلاء القوم شيعة إذا

(١) ثواب الأعمال للصدوق: ١٩٣.

بكى أحدهم فبكاؤه لا إله إلا الله إلى أن يأتي عليه سبع سنين، فإذا جاز السبع فبكاؤه استغفار لوالديه إلى أن يأتي على الحدِّ، فإذا جاز الحدَّ فما أتى من حسنة فلوالديه، وما أتى من سيئة فلا عليهما^(١).

الأمر الثاني: خطورة الأمراض المعنوية.

عادة ما يخاف الإنسان من الأمراض البدنية، ودائماً ما يسأل الله تعالى أن يعافيه منها، وهذا لا ضير فيه، ولكن من المهم أيضاً أن نلتفت إلى أن هناك أمراضاً غير مادية تصيب الإنسان، وهي أشد خطراً وفتكاً بالإنسان، فهناك أمراض تصيب الروح، والقلب، والفكر، والعقل... قال تعالى ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ فالكذب مرض يصيب الروح، وكذا الرياء والعجب والتعصب الأعمى وقول الزور واليمين الغموس وعقوق الوالدين وإدمان النظر إلى الحرام واستماع الغناء والجبن والكره والنميمة وغيرها كثير.... وهذه الأمراض أخطر بكثير من أمراض البدن، وخطرها يكمن في عدة جهات:

١ / إن المرض البدني عادة ما تكون له آثار ظاهرة للعيان أو ملفتة للنظر... وليس كذلك أمراض الروح...

٢ / عادة ما يعمل الإنسان على التخلص من مرض بدنه بالسرعة العاجلة؛ لأنه يعتقد أنه مضر بصحته، وأنه إذا أراد العيش الهنيء فعليه أن يتخلص من مرض بدنه، ولكنه عادة ما يغفل عن مرض روحه، لأنه قد لا يراه سيئاً، وقد يبرر لنفسه ما يفعله من خطأ...

٣ / إن المرض البدني مهما صعب، لكن الحصول على طبيب يداويه ممكن، ولكن

(١) الكافي للشيخ الكليني (ج ٦ / ص ٥٢ و ٥٣ / باب النوادر / ح ٥).

من الصعب جداً أن نجد طبيباً لأرواحنا في زمن اختلط فيه الحابل بالنابل.

نعم، ينبغي أن لا ننسى أن طبيب النفوس هو النبي الأكرم ﷺ فإنه طبيب دوار بطبه قد أتقن مرأته، وأعطانا علاج الأرواح بأحاديثه وأحاديث أهل البيت.

فقد روي عن الرسول الأكرم ﷺ: «إنَّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد»، قيل: فما جلاؤها؟ قال: «ذكر الله، وتلاوة القرآن»^(١).

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): «إنَّ حديثنا يُحيي القلوب»^(٢).

وعن رسول الله ﷺ: «تذاكروا وتلاقوا وتحدثوا فإنَّ الحديث جلاء للقلوب، إنَّ القلوب لترين»^(٣) كما يرين السيف جلاؤها الحديث»^(٤).

وأصل ذلك هو القرآن الكريم، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. [يونس ٥٧]

الأمر الثالث: الإرادة الإلهية في سببية الشفاء.

في الوقت الذي جعل الله تعالى من سنن الحياة المرض، فإنه تعالى لم يجعل مرضاً إلا جعل له دواء، فعن رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله، إلا السام وهو الموت»^(٥).

وعنه ﷺ: «تداووا، فإن الله تعالى لم ينزل داء إلا وقد أنزل الله له شفاء، إلا السام

(١) الدعوات لقطب الدين الراوندي (ص ٢٣٧ / ح ٦٦٢).

(٢) الدعوات لقطب الدين الراوندي (ص ٦٢ / ح ١٥٥).

(٣) الرّين: الدنس والوسخ. (من هامش المصدر).

(٤) الكافي للشيخ الكليني (ج ١ / ص ٤١ / باب بذل العلم / ح ٨).

(٥) كنز العمال للمتقي الهندي ج ١٠ ص ٥ ح (٢٨٠٧٩).

والهرم»^(١).

الملاحظة المهمة هنا هي: أن جعل خاصية الشفاء في شيء مما خلقه الله تعالى هو أمر مختص به تعالى، بمعنى أن الله تعالى هو الذي يجعل الشيء الفلاني علاجاً للمرض الفلاني... وهو أمر تابع لنظام الأسباب والمسببات الذي خلقه الله تبارك وتعالى، والذي لم يكتشف الإنسان كل أسرارهِ إلى الآن.

الاستشفاء بتربة الإمام الحسين (عليه السلام) :

ومن هنا، نجد الروايات الشريفة تؤكد على أن الله تعالى جعل لتربة الإمام الحسين (عليه السلام) وتعويضاً لما قدمه (عليه السلام) في سبيل الله تعالى، جعل فيها خاصية الشفاء من كل داء، والتي قد يفهم منها أنها علاج لكل الأمراض البدنية والروحية أيضاً..

عن الحسين بن محمد الأزدي، عن أبيه قال: صليت في جامع المدينة وإلى جانبي رجلان على أحدهما ثياب السفر فقال أحدهما لصاحبه: يا فلان أما علمت أن طين قبر الحسين (عليه السلام) شفاء من كل داء؟ وذلك أنه كان بي وجع الجوف، فتعالجت بكل دواء فلم أجد فيه عافية، وخفت على نفسي وآيست منها، وكانت عندنا امرأة من أهل الكوفة عجوز كبيرة، فدخلت علي وأنا في أشد ما بي من العلة، فقالت لي: يا سالم ما أرى علتك إلا كل يوم زائدة، فقلت لها: نعم، فقالت: فهل لك أن أعالجك فتبرأ بإذن الله (ﷻ)؟ فقلت لها: ما أنا إلى شيء أحوج مني إلى هذا، فسقتني ماء في قدح فسكنت عني العلة وبرئت حتى كأن لم يكن بي علة قط.

فلما كان بعد أشهر دخلت علي العجوز، فقلت لها: بالله عليك يا سلمة - وكان اسمها سلمة - بماذا داويتني؟ فقالت: بواحدة مما في هذه السبحة، من سبحة كانت

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ج ١٠ ص ٦ ح ٢٨٠٨٨.

في يدها، فقلت: وما هذه السبحة؟ فقالت: إنها من طين قبر الحسين عليه السلام، فقلت لها: يا رافضية، داويتني بطين قبر الحسين عليه السلام؟ فخرجت من عندي مغضبة ورجعت والله علتي كأشد ما كانت، وأنا أقاسي منها الجهد والبلاء، وقد والله خشيت على نفسي، ثم أذن المؤذن فقاما يصليان وغابا عني.^(١)

قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: «في طين قبر الحسين عليه السلام الشفاء من كل داء، وهو الدواء الأكبر».^(٢)

وقال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «طين قبر الحسين عليه السلام فيه شفاء، وإن أخذ على رأس ميل».^(٣)

وقال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «من أصابته علة فبدأ بطين قبر الحسين عليه السلام شفاه الله من تلك العلة، إلا أن تكون علة السام».^(٤)

شرط الانتفاع بتربة الإمام الحسين عليه السلام :

وإنما ينتفع المريض بطين قبر الإمام الحسين عليه السلام إذا كان مؤمناً مطمئناً بذلك، بالإضافة إلى أن بعض الروايات ذكرت أن هناك أدعية ينبغي قراءتها عند استعمالها.

فقد قال ابن أبي يعفور إلى الإمام الصادق عليه السلام: يأخذ الإنسان من طين قبر الحسين فينتفع به، ويأخذ غيره فلا ينتفع به، فقال الإمام عليه السلام: «لا والله الذي لا إله إلا هو، ما يأخذه أحد وهو يرى أن الله ينفعه به إلا نفعه الله به...».

(١) الأمالي للشيخ الطوسي ص ٣١٩ و ٣٢٠ ح ٦٤٨ / ٩٥.

(٢) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٤٦٢ باب ٩١ ح [٧٠٢] ٤.

(٣) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٤٦٢ باب ٩١ ح [٧٠٣] ٥.

(٤) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٤٦٢ باب ٩١ ح [٧٠٤] ٦.

وعن الحارث بن المغيرة النصري، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني رجل كثير العلل والأمراض، وما تركت دواءً تداويت به فما انتفعت بشيء منه.

فقال لي: أين أنت عن طين قبر الحسين بن علي عليه السلام، «فإن فيه شفاء من كل داء، وأمناً من كل خوف، فإذا أخذته فقل هذا الكلام: (اللهم إني أسألك بحق هذه الطينة، وبحق الملك الذي أخذها، وبحق النبي الذي قبضها، وبحق الوصي الذي حلّ فيها، صلّ على محمد وأهل بيته، وافعل بي كذا وكذا)».

قال: ثم قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «أما الملك الذي قبضها فهو جبرئيل عليه السلام، وأراها النبي صلى الله عليه وآله، فقال: هذه تربة ابنك الحسين، تقتله أمتك من بعدك، والذي قبضها فهو محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأما الوصي الذي حلّ فيها فهو الحسين عليه السلام والشهداء (رضي الله عنهم)».

قلت: قد عرفت - جعلت فداك - الشفاء من كل داء فكيف الأمن من كل خوف؟ فقال: إذا خفت سلطاناً أو غير سلطان فلا تخرجن من منزلك إلا ومعك من طين قبر الحسين عليه السلام، فتقول: «اللهم إني أخذته من قبر وليك وابن وليك، فاجعله لي آمناً وحرزاً لما أخاف وما لا أخاف» فإنه قد يرد ما لا يخاف.

قال الحارث بن المغيرة: فأخذت كما أمرني، وقلت ما قال لي فصح جسمي، وكان لي آمناً من كل ما خفت وما لم أخف، كما قال أبو عبد الله عليه السلام، فما رأيت مع ذلك بحمد الله مكروهاً ولا محذوراً.^(١)

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: طين قبر الحسين عليه السلام شفاء من كل داء، وإذا أكلته فقل: بسم الله وبالله، اللهم اجعله رزقاً واسعاً، وعلماً نافعاً، وشفاءً من كل داء، انك على كل

(١) الأماشي للشيخ الطوسي ص ٣١٧ و ٣١٨ ح ٦٤٥ / ٩٢.

شيء قدير.^(١)

وعن مالك بن عطية، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إذا أخذت من تربة المظلوم ووضعتها في فيك فقل: (اللهم إني أسألك بحق هذه التربة، وبحق الملك الذي قبضها، والنبي الذي حضنها، والإمام الذي حل فيها، أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تجعل لي فيها شفاء نافعاً، ورزقاً واسعاً، وأماناً من كل خوف وداء)، فإنه إذا قال ذلك وهب الله له العافية وشفاه».^(٢)

من خصائص تربة الإمام الحسين عليه السلام:

إن لتربة الإمام الحسين عليه السلام عدة خصائص ذكرت في الروايات الشريفة والكتب الفقهية، نذكر منها:

الخصيصة الأولى: أنها أمان في السفر ومن الخوف.

فعن زيد أبي أسامة، قال: كنت في جماعة من عصاباتنا بحضرة سيدنا الصادق عليه السلام، فأقبل علينا أبو عبد الله عليه السلام، فقال: إن الله (تعالى) جعل تربة جدي الحسين عليه السلام شفاء من كل داء، وأماناً من كل خوف، فإذا تناولها أحدكم فليقبلها وليضعها على عينيه، وليمرها على سائر جسده، وليقل: «اللهم بحق هذه التربة، وبحق من حل بها وثوى فيها، وبحق أبيه وأمه وأخيه والأئمة من ولده، وبحق الملائكة الحافين به إلا جعلتها شفاء من كل داء، وبرء من كل مرض، ونجاة من كل آفة، وحرزا مما أخاف وأحذر» ثم يستعملها.

(١) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٤٧٦ الباب (٩٤) ما يقول الرجل إذا اكل من تربة قبر الحسين عليه السلام ح [٧٢٥] ١.

(٢) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٤٧٧ الباب (٩٤) ما يقول الرجل إذا اكل من تربة قبر الحسين عليه السلام ح [٧٢٧] ٣.

قال أبو أسامة: فإني استعملتها من دهري الأطول، كما قال ووصف أبو عبد الله،
فما رأيت بحمد الله مكروهاً.^(١)

وروي أنه بُعث إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام من خراسان بثياب رزم^(٢)، وكان بين
ذلك طين، فقلت للرسول: ما هذا، فقال: طين قبر الحسين عليه السلام ما يكاد يوجه شيئاً من
الثياب ولا غيره إلا ويجعل فيه الطين، وكان يقول: هو أمان بإذن الله تعالى.^(٣)

الخصيصة الثانية: حرمة تربة قبر الإمام الحسين عليه السلام.

يستفاد من بعض الروايات الشريفة حرمة توهين وتحقير تربة الإمام الحسين عليه السلام،
وهو ما يُشير إليه تعبير بعض الروايات بأن للحسين عليه السلام حرمة حول قبره أو في حائرهِ،
من قبيل ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: حرمة قبر الحسين فرسخ في فرسخ من أربعة
جوانبه.^(٤)

وعن إسحاق بن عمار، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ان لموضع قبر الحسين
بن علي عليه السلام حرمة معلومة من عرفها واستجار بها أجير...».^(٥)

الخصيصة الثالثة: اتخاذ المسبحة من طين قبر الإمام الحسين عليه السلام.

فقد روي عن بعض أصحاب أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: «دخلت إليه

(١) الأُمالي للشيخ الطوسي ص ٣١٨ و ٣١٩ ح ٦٤٦ / ٩٣.

(٢) رزم الثياب جمعها وشدها في ثوب. [هامش المصدر]

(٣) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٤٦٥ و ٤٦٦ الباب (٩٢) أن طين قبر الحسين عليه السلام
شفاء وأمان ح [٧٠٧] ١.

(٤) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٤٥٦ الباب (٨٩) فضل الحائر وحرمة/
ح [٦٩٢] ٢.

(٥) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٤٥٧ الباب (٨٩) فضل الحائر وحرمة/
ح [٦٩٤] ٤.

فقال: لا تستغني شيعتنا عن أربع: خمرة^(١) يصلى عليها، وخاتم يتختم به، وسواك يستاك به، وسبحة من طين قبر أبي عبد الله عليه السلام فيها ثلاث وثلاثون حبة. متى قلبها ذاكراً لله كتب له بكل حبة أربعون حسنة. وإذا قلبها ساهياً يعبث بها كتب له عشرون حسنة^(٢).

وعن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري قال: كتبت إلى الفقيه عليه السلام أسأله هل يجوز أن يسبح الرجل بطين قبر الحسين عليه السلام، وهل فيه فضل؟ فأجاب وقرأت التوقيع ومنه نسخت: يسبح به، فما في شيء من التسبيح أفضل منه، ومن فضله أن المسبح ينسى التسبيح ويدير السبحة فيكتب له ذلك التسبيح^(٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «... ومن كان معه سبحة من طين قبر الحسين عليه السلام كتب مسبحاً وإن لم يسبح بها، والتسبيح بالأصابع أفضل منه بغيرها؛ لأنها مسؤولات يوم القيامة»^(٤).

الخصيصة الرابعة: استحباب السجود على تربة الإمام الحسين عليه السلام

قال الإمام الصادق عليه السلام: «السجود على طين قبر الحسين عليه السلام ينور إلى الأرض السابعة»^(٥).

(١) الخمرة: بضم الحاء سجادة صغيرة تعمل من سعف النخل وتزمل بالخيوط [هامش المصدر]

(٢) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج ٦ ص ٧٥ ح (١٤٧) ١٦.

(٣) قال الشيخ محمد تقي المجلسي (الأول) في روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ١٧٦: (والظاهر أنه الصاحب عليه السلام هنا)، وقال الشيخ الجواهري في جواهر الكلام ج ١٠ ص ٤٠٥: (أن الحميري كتب إلى صاحب الزمان عليه السلام يسأله هل يجوز أن يسبح الرجل بطين القبر)

(٤) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج ٦ ص ٧٥ و ٧٦ ح (١٤٨) ١٧.

(٥) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج ١ ص ٢٦٨ ح ٨٢٩.

(٦) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج ١ ص ٢٦٨ ح ٨٢٩.

الخصيصة الخامسة: تحنيك الأولاد بها.

المراد بالتحنيك إدخال ذلك إلى حنكه، وهو أعلى داخل الفم.^(١)

عن الحسين بن أبي العلاء، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: حنكوا أولادكم بتربة الحسين عليه السلام، فإنها أمان.^(٢)

الخصيصة السادسة: وضعها مع الميت.

يظهر من بعض الروايات الشريفة استحباب وضع شيء من تربة قبره عليه السلام مع الميت في قبره، فقد روي عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري قال: كتبت إلى الفقيه عليه السلام أسأله عن طين القبر يوضع مع الميت في قبره هل يجوز ذلك أم لا؟ فأجاب وقرأت التوقيع ومنه نسخت: يوضع مع الميت في قبره ويخلط بحنوطه إن شاء الله.^(٣)

الخصيصة السابعة: أكلها للاستشفاء.

هي التربة الوحيدة من بين أنواع التراب بل ومن بين أتربة قبور جميع الأنبياء والأئمة التي يجوز أكلها^(٤)،

(١) مسالك الأفهام للشهيد الثاني ج ٨ شرح ص ٣٩٥.

(٢) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٤٦٦ الباب (٩٢) أن طين قبر الحسين عليه السلام شفاء وأمان / ح [٧٠٨] ٢.

(٣) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج ٦ ص ٧٦ ح (١٤٩) ١٨.

(٤) في منهاج الصالحين السيد السيستاني ج ٣ ص ٣٠١ - ٣٠٣ وردت المسائل التالية فيما يتعلق بهذا الموضوع:

مسألة ٩١٨: يحرم أكل الطين وهو التراب المختلط بالماء حال بلته، وكذا المدر وهو الطين اليابس، ويلحق بهما التراب والرمل على الأحوط وجوبا، نعم لا بأس بما يختلط به حبوب الحنطة والشعير ونحوهما من التراب والمدر مثلا ويستهلك في دقيقتها عند الطحن، وكذا ما يكون على وجه الفواكه ونحوها من التراب والغبار إذا كان قليلا بحيث لا يعد أكلا للتراب، وكذا الماء المتوحد أي الممتزج بالطين الباقي على إطلاقه، نعم لو أحست الذائقة لأجزاء الطينية حين الشرب فالأحوط الأولى

ولكن أكلها مشروط بشرطين^(١):

الأول: قصد الاستشفاء: فعن الإمام الصادق (عليه السلام): «من أكل من طين قبر الحسين (عليه السلام) غير مستشف به فكأنما أكل من لحومنا».

الثاني: أن يؤخذ منها بقدر الحمصة المتوسطة الحجم لا أكثر.

الاجتناب عن شربه حتى يصفو.

مسألة ٩١٩: لا يلحق بالطين الأحجار وأنواع المعادن والأشجار فهي حلال كلها مع عدم الضرر البالغ.

مسألة ٩٢٠: يستثنى من الطين طين قبر الإمام الحسين (عليه السلام) للاستشفاء، ولا يجوز أكله لغيره، ولا أكل ما زاد عن قدر الحمصة المتوسطة الحجم، ولا يلحق به طين قبر غيره حتى قبر النبي (عليه السلام) والأئمة (عليهم السلام)، نعم لا بأس بأن يمزج بهاء أو مشروب آخر على نحو يستهلك فيه والتبرك بالاستشفاء بذلك الماء وذلك المشروب.

مسألة ٩٢١: قد ذكر لأخذ التربة المقدسة وتناولها عند الحاجة آداب وأدعية خاصة، ولكن الظاهر أنها شروط كمال لسرعة تأثيرها لا أنها شرط لجواز تناولها.

مسألة ٩٢٢: القدر المتيقن من محل أخذ التربة هو القبر الشريف وما يقرب منه على وجه يلحق به عرفاً فالأحوط وجوباً الاقتصار عليه، واستعمالها فيما زاد على ذلك ممزوجة بهاء أو مشروب آخر على نحو تستهلك فيه ويستشفى به رجاء.

مسألة ٩٢٣: تناول التربة المقدسة للاستشفاء يكون إما بازدرادها وابتلاعها، وإما بحلها في الماء ونحوه وشربه، بقصد التبرك والشفاء.

مسألة ٩٢٤: إذا أخذ التربة بنفسه أو علم من الخارج بأنه من تلك التربة المقدسة بالحد المتقدم فلا اشكال، وكذا إذا قامت على ذلك البينة، وفي كفاية قول الثقة أو ذي اليد اشكال إلا أن يورث الاطمينان، والأحوط وجوباً في غير صورة العلم والاطمينان وقيام البينة تناولها ممزوجة بهاء ونحوه بعد استهلاكها فيه.

مسألة ٩٢٥: يجوز أكل الطين الأرمني والداغستاني وغيرهما للتداوي عند انحصار العلاج فيها.

(١) وللتفصيل يمكن مراجعة مجلة الإصلاح الحسيني العدد الأول ص ١٣٦ - ١٤٠.

العوض الثالث: إجابة الدعاء عند قبره

للدعاء أهمية عظمى في المنظومة الدينية، وهو يمثل عصب الحياة الذي يمد الإنسان بالحيوية والفيض الإلهي، ولولاه لما وجدنا خيطاً رابطاً بيننا وبين الله تعالى بعد أن فقدنا المعصوم وغاب عنا، فهو الملجأ الذي جعله الله تعالى للبشر، قال (تعالى): ﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْ لَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾^(١).

وقال تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٢).

وقال تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٣).

وقد صرحت رواية محمد بن مسلم بأن من التعويضات الإلهية للإمام الحسين (عليه السلام)، هو أن الدعاء عند قبره مستجاب، وحتى تتضح الصورة أكثر نذكر النقاط التالية:

النقطة الأولى: الدعاء سبب غيبي.

إن الله تعالى جعل العالم يسير وفق نظام الأسباب والمسببات - كما تقدم -، وهذه الأسباب منها مادي مشاهد، ككون الماء يروي، والنار تحرق، ومنها معنوي غيبي لا يرى بالعين، وإن أمكن تلمس أثره، ومنه الدعاء.

(١) الفرقان ٧٧.

(٢) غافر ٦٠.

(٣) الأنفال ٣٣.

النقطة الثانية : تجلي الدعاء كثمرة من ثمرات الأمرين.

ذكر علماء الكلام في مباحث التوحيد والعدل الإلهي -وتحديداً في مبحث (لا جبر ولا تفويض وإنما أمرٌ بين أمرين)- أنَّ في كون الإنسان مختاراً أو لا ثلاثة آراء:

١/ الجبر:

وقال به الأشاعرة المجبرة، الذين نفوا أن يكون للإنسان أيُّ دورٍ في ما يجري في الكون عموماً وفي فعله خصوصاً. وحصرُوا العلة للفعل في الله ﷻ، وأما الإنسان فهو مُجبرٌ ومجرد آلة.

وعلى هذا القول فما الغاية من الدعاء؟ فإنك إن دعوت أو لم تدعُ فالأمر سيّان، إذ القدر الإلهي جارٍ على أيِّ حال. لذا لا نجد مظهرًا واضحًا للدعاء في عقيدة المجبرة.

٢/ التفويض:

وقال به المعتزلة، حيث ذهبوا إلى تجريد الله ﷻ من سلطانه في هذا الكون. فكانوا على طرفِ النقيض مع المجبرة. إذ قالوا: إنَّ كلَّ ما في هذا الكون من فعلٍ بصورةٍ عامة وفعل الإنسان بصورةٍ خاصة هو موكلٌ إلى الإنسان، أي إنَّ العلة التامة هي بيد الإنسان.

وبعبارةٍ فلسفية: إنَّ الله ﷻ علةٌ في حدوث العالم لا في استمراره. وهو هو ما قالت به اليهود كما حكاها الله تعالى عنهم بقوله عز من قائل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾^(١).

وعلى هذا الرأي فلا وجود للدعاء أو لا فائدة فيه أصلاً، إذ هم يقولون: إنَّ المؤثر في هذا العالم هو الأسباب المادية فقط. وحيث إنَّ الدعاء سببه غيبي، وبه يُطلب التدخل الإلهي لتغيير مجريات الكون، أو لدفع بلاء معين، أو لرزق معين، وما شابه، فلا تأثير له

في العالم، إذ لا دور لله تعالى في هذا العالم حسب معتقدهم البائس.

٣/ الأمر بين أمرين.

وهو المذهب الحق لأهل البيت عليهم السلام، ومؤداه: أنَّ الفاعل المستقل في هذا الوجود هو فقط الله ﷻ، ولكنه أذن للإنسان أن يكون فاعلاً أيضاً، فالإنسان فاعلٌ بالإذن الإلهي. بمعنى أنَّ الإنسان يفعل الأفعال حقيقةً، لكن ضمن دائرة قدرة الله ﷻ وسلطانه وإرادته؛ فإرادته ﷻ لم تُسلب، بل هي متسلطة على هذا الكون، وفي الوقت عينه لم تسلبنا اختيارنا وتجبرنا على الاختيار، بل شاء الله تعالى أن يجعلنا مختارين في هذا العالم.

وعليه، فإن الله (تعالى) ترك لنا الخيار، لكن قدرته ما زالت جاريةً على حياة الإنسان وأفعاله، ومؤثرة فيها، بل في الكون كله، ولذا كان للدعاء أهميته البالغة، فالإنسان يتوسل بالأسباب المادية، ويبدل جهده فيها، لكن في نفس الوقت يرفع يديه للسماء ويدعو الله ﷻ طالباً منه المدد الغيبي والتوفيق الإلهي.

والدعاء من أفعال الإنسان، وبها أنَّ سلطة الله ﷻ ما زالت موجودة، فهو قادرٌ على أن يعطيه أو يغير من مجريات الحياة.

وعليه، فإنَّ فلسفة الدعاء الحقيقية وثمراته المرجوة منحصرةٌ بعقيدة أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم)، وغيرهم وإن شاركهم فيه، إلا أن اعتقادهم بالدعاء أقرب إلى قلقلة اللسان منه إلى حقيقته.

النقطة الثالثة: أخطاء عملية في العلاقة مع الدعاء.

لقد ألفت النصوص الدينية إلى ثلاثة أخطاء في تعامل الإنسان مع الدعاء، وهي:

الخطأ الأول: الدعاء لرفع البلاء فقط.

والتعامل معه كوصفة دواء علاجية فقط.

بشكل عام نحن نتعامل مع الدعاء كحبة الدواء، أي لمعالجة مرض وإزالة طارئ أو مانع، فنحن نتعامل مع الدعاء والطلب من الله تعالى بطريقة الذهاب إلى الطبيب، وبطريقة البحث عن علاج لشيء طارئ على السلامة العامة، كالدعاء لطلب المغفرة من ذنب، أو طلب شفاء من مرض، أو لدفع بلاء فعلي.

وهذا وإن كان صحيحاً في حدّ نفسه، ولكن التعامل مع الدعاء بهذا الشكل فقط خطأ منهجي، فإن الحقيقة هي أن الدعاء وصفة وقاية وعلاج، فهو وقاية للموجود بأن يتم حفظه من فقدان، وعلاج فيما لو وقع خطأ أو بلاء أو أمر سلبي.

والقرآن يشير إلى هذه الحالة بنوع من الانتقاد، قال تعالى ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾^(١).

وقال تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

(١) فصلت ٥١.

(٢) يونس ١٢.

(٣) الزمر ٤٩.

الخطأ الثاني: الدعاء من دون حكمة.

قال تعالى ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾^(١).

تلفت الآية إلى أن الإنسان قد يدعو بالشر على نفسه كما لو كان يدعو لها بالخير، وحينئذ يفترض به أن يوكل الأمر إلى الله تعالى، فحيث إن الإنسان قد يقع في الخطأ، حيث يدعو على نفسه وهو يظن أنه يدعو لها، كان مناسباً أن يدعو الله تعالى أن يجعل الإجابة موافقة للحكمة التي هو يراها جل وعلا، ولعله لأجل ذلك جاء في دعاء الافتتاح: «وصالح الدعاء والمسألة فاستجب لنا».

وعن مولانا الإمام السجّاد عليه السلام في دعائه في مكارم الأخلاق: «... وَعَمَّرَنِي مَا كَانَ عُمْرِي بِذِلَّةٍ فِي طَاعَتِكَ، فَإِذَا كَانَ عُمْرِي مَرْتَعًا لِلشَّيْطَانِ فَأَقْبِضْنِي إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ إِلَيَّ، أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ...»^(٢)

مما يعني أن طلب طول العمر لم يأت مطلقاً، وإنما على شرط، وهو الذي ندعو به «وأطل عمري في خير وعافية».

وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إنَّ كَرَمَ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَنْقُضُ حُكْمَتَهُ، فَلِذَلِكَ لَا تَقَعُ الْإِجَابَةُ فِي كُلِّ دَعْوَةٍ»^(٣).

الخطأ الثالث: عدم الدعاء إلا في حال الإصابة بالشر.

فإن هذا من التعامل المصلحي مع الدعاء، ويكشف عن عدم اهتمام بهذه العقيدة الارتباطية مع الله تعالى، وقد انتقد القرآن هذه الحالة بقوله عز من قائل: ﴿وَإِذَا مَسَّ

(١) الإسراء ١١.

(٢) الصحيفة السجّادية: ٩٤ / الدعاء رقم ٢٠.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ١٥١.

الْإِنْسَانَ الضَّرُّ دَعَانَا لِحَبْنِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾.

وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: «وتقدموا بالدعاء قبل نزول البلاء». (٢)

النقطة الثالثة : شروط مؤثريّة الدعاء.

كثيراً ما يتساءل الناس عن مفارقة واقعية، طرفاها هما:

أ: أن القرآن يُصرّح بأن الله تعالى سيستجيب لمن يدعوه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾. (٣)

ب: أن الواقع يشهد أن الكثير من حالات الدعاء تقع من دون إجابة.

فما هو المخرج؟

الجواب: إن الدعاء ليس مجرد لقلقة لسان، تقع الإجابة بعده مباشرة، وإنما هو مركب من عدة أجزاء لا بد من توفرها لتقع الإجابة، وهناك عدد من النصوص تبين أن للدعاء شروطاً لا بد من توفرها حتى تحصل الثمرة منه، وحتى تتضح الصورة نذكر التالي:

أولاً: لا يتصور أحد أن إجابة الدعاء منحصرة بتنفيذ الطلب منه، وإنما الدعاء سبب غيبي لثلاثة أمور ذكرتها الروايات الشريفة، وهي: الإجابة، ودفع البلاء، وتأجيل الإجابة إلى يوم القيامة.

يقول رسول الله ﷺ: «ما من مسلم دعا الله تعالى بدعوة ليس فيها قطعة رحم ولا

(١) يونس ١٢.

(٢) الخصال للشيخ الصدوق ص ٦١٨ حديث أربعمائة.

(٣) غافر ٦٠.

استجلاب إثم إلا أعطاه الله تعالى بها إحدى خصال ثلاث: إمّا أن يُعجّل له الدعوة، وإمّا أن يدّخرها له في الآخرة، وإمّا أن يرفع عنه مثلها من السوء»^(١).

ويقول الإمام الصادق (عليه السلام): قال النبي (صلى الله عليه وآله): «... فإذا أتيت بما ذكرت لك من شرائط الدعاء، وأخلصت بسرّك لوجهه، فأبشر بإحدى الثلاث: إمّا أن يُعجّل لك ما سألت، وإمّا أن يدّخر لك ما هو أعظم منه، وإمّا أن يصرف عنك من البلاء ما إن لو أرسله عليك لهلك»^(٢).

ويقول (عليه السلام): «يتمنى المؤمن أنّه لم يُستجب له دعوة في الدنيا ممّا يرى من حسن الثواب»^(٣).

ثانياً: قد لا تقع الإجابة بسبب تعارض الدعاء مع مصلحة عليا، مرتبطة بالفرد ذاته أو بالمجتمع، وهو ما أشار له الإمام زين العابدين (عليه السلام) بقوله: ﴿... يَا مَنْ لَا تُغْنِي خَزَائِنُهُ الْمَسَائِلُ. وَيَا مَنْ لَا تُبَدِّلُ حِكْمَتَهُ الْوَسَائِلُ﴾^(٤).

وهذا ما عبّر عنه أمير المؤمنين (عليه السلام) كما تقدم بقوله: «إنّ كرم الله تعالى لا ينقض حكمته، فلذلك لا تقع الإجابة في كلّ دعوة»^(٥).

ثالثاً: هناك ظروف معينة لها مدخلية في سرعة الإجابة، والتي ذكرت الروايات الشريفة العديد منها، تلك الظروف بعضها متعلقة بنفس الداعي، وبعضها بالهدف من الدعاء، وبعضها مرتبط بزمان الدعاء، وبعضها بمكانه.

(١) مكارم الأخلاق: ٢٦٩.

(٢) بحار الأنوار ٩٠/٣٢٣ ح ٣٦، عن مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق (عليه السلام): ١٤٤.

(٣) الكافي ٢: ٤٩١/ باب من أبطأت عليه الإجابة/ ح ٩.

(٤) الصحيفة السجادية المباركة، من دُعَائِهِ (عليه السلام) فِي طَلَبِ الْحَوَائِجِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

(٥) عيون الحكّم والمواعظ للشيخ الواسطي: ١٥١.

عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «تفتح لكم أبواب السماء في خمس مواقيت: عند نزول الغيث، وعند الزحف، وعند الأذان، وعند قراءة القرآن، ومع زوال الشمس، وعند طلوع الفجر»^(١).

ومن تلك الشروط المؤثرة سريعاً في إجابة الدعاء، والتي تمثل سبباً غيبياً للإجابة، هو التواجد عند قبر أبي عبد الله (عليه السلام)، حيث جعله الله تبارك وتعالى سبباً من أسباب إجابة الدعاء، وهو ما تؤكدته رواية محمد بن مسلم في ما عوضه الله تبارك وتعالى للإمام الحسين (عليه السلام)، وتصرح به روايات أخرى، من قبيل^(٢):

ما روي عن أبي هاشم الجعفري، قال: بعث إلي أبو الحسن [المهدي] (عليه السلام) في مرضه وإلى محمد بن حمزة، فسبقني إليه محمد بن حمزة فأخبرني أنه ما زال يقول: ابعثوا إلى الحائر، فقلت لمحمد: ألا قلت له: أنا أذهب إلى الحائر، ثم دخلت عليه فقلت له: جعلت فداك أنا أذهب إلى الحائر، فقال: انظروا في ذلك، ثم قال: إن محمداً ليس له سر من زيد بن علي^(٣)، وأنا أكره أن يسمع ذلك، قال: فذكرت ذلك لعلي بن بلال، فقال: ما كان يصنع

(١) الخصال للشيخ الصدوق ص ٦١٨ حديث أربعمائة.

(٢) انظر: كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٤٥٨ - ٤٦٠ الباب (٩٠) ان الحائر من المواضع التي يجب الله ان يدعى فيها، ح [٦٩٧] ١ و [٦٩٨] ٢.

(٣) قال العلامة المجلسي في بحاره ج ٩٨ ص ١١٢ و ١١٣: بيان: قوله (عليه السلام): «ابعثوا إلى الحائر» أي ابعثوا رجلاً إلى حائر الحسين (عليه السلام) يدعو لي ويسأل الله شفائي عنده، قوله (عليه السلام): «انظروا في ذلك»، أي تفكروا وتدبروا فيه بأن يقع على وجه لا يطلع عليه أحد للتقية، قوله (عليه السلام): «إن محمداً» يعني ابن حمزة «ليس له سر» أي حصانة بل يفشي الأسرار، وذلك بسبب أنه من أتباع زيد ولا يعتقد إمامتنا، فتكون من تعليلية، أو المعنى انه ليس له حظ من أسرار زيد وما كان يعتقد فينا، فان الزيدية خالفوا زيدا في ذلك، ولعله كان الباعث لافشائه على الوجهين الحسد على أبي هاشم إذ كان هو المبعوث، فلذا لم يتق (عليه السلام) في القول أولاً عنده مع أنه يحتمل أن يكون المراد بمحمد أخيراً غير ابن حمزة. ويحتمل أيضاً أن يكون المراد بزيد غير إمام الزيدية بل واحداً من أهل ذلك العصر ممن يتقى منه، ويكون المعنى أن محمداً لا يخفى شيئاً من زيد وأنا أكره أن يسمع زيد ذلك.

بالحائر وهو الحائر. فقدمت العسكر فدخلت عليه، فقال لي اجلس حين أردت القيام، فلما رأيته أنس بي، ذكرت قول علي بن بلال فقال لي: ألا قلت له: إن رسول الله ﷺ كان يطوف بالبيت ويقبل الحجر، وحرمة النبي ﷺ والمؤمن أعظم من حرمة البيت، وأمره الله أن يقف بعرفة، إنما هي مواطن يحب الله أن يذكر فيها، فأنا أحب أن يدعى لي حيث يحب الله أن يدعى فيها، والحائر من تلك المواضع.

وعن أبي هاشم الجعفري، قال: دخلت أنا ومحمد بن حمزة عليه نعوذ وهو عليل، فقال لنا: وجهوا قوماً إلى الحائر من مالي، فلما خرجنا من عنده، قال لي محمد بن حمزة: المشير يوجهنا إلى الحائر وهو بمنزلة من في الحائر، قال: فعدت إليه فأخبرته، فقال لي: ليس هو هكذا، إن لله مواضع يحب أن يُعبد فيها، وحائر الحسين عليه السلام من تلك المواضع.

العض الرابع: لا تعد أيام زائريه جائئاً وراجعاً من عمره.

هناك تأكيد شديد من الروايات الشريفة على ضرورة زيارة الإمام الحسين عليه السلام وأنها من متمات الإيـان ومن أهم صفات الشيعة ومن مقتضيات التشيع، فقد روي عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: مروا شيعتنا بزيارة الحسين بن علي عليه السلام، فإن زيارته تدفع الهدم والغرق والحرق وأكل السبع، وزيارته مفترضة على من أقرّ للحسين بالإمامة من الله تعالى.^(١)

وعن بشير الدهان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ربما فاتني الحج فأعرفُ عند قبر الحسين عليه السلام، قال: أحسنت يا بشير، أيما مؤمن أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه في غير يوم عيد، كتب الله له عشرين حجة وعشرين عمرة مبرورات متقبلات، وعشرين غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل، ومن أتاه في يوم عيد، كتب الله له مائة حجة ومائة عمرة ومائة غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل، ومن أتاه في يوم عرفة عارفاً بحقه كتب الله له ألف حجة وألف عمرة متقبلات وألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل.

قال: فقلت له: وكيف لي بمثل الموقف، قال: فنظر إلي شبه المغضب ثم قال: يا بشير، إن المؤمن إذا أتى قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة، واغتسل في الفرات، ثم توجه إليه، كتب الله له بكل خطوة حجة بمناسكها. ولا أعلمه إلا قال: وغزوة.^(٢)

(١) الأماي للشيخ الصدوق ص ٢٠٦ ح ٢٢٦ / ١٠.

(٢) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٣١٦ الباب (٧٠) ثواب زيارة الحسين عليه السلام يوم عرفة ح [٥٣٦] ١.

وعن أم سعيد الأحسية، عن أبي عبد الله عليه السلام قالت: قال لي: يا أم سعيد، تزورين قبر الحسين؟ قالت: قلت: نعم، فقال لي: زوريه فان زيارة قبر الحسين واجبة على الرجال والنساء.^(١)

وعن عبد الرحمن بن كثير مولى أبي جعفر عليه السلام، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لو أن أحدكم حج دهره، ثم لم يزر الحسين بن علي عليه السلام لكان تاركاً حقاً من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله، لأن حق الحسين عليه السلام فريضة من الله، واجبة على كل مسلم.^(٢)

وعن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: من لم يأت قبر الحسين عليه السلام من شيعتنا كان منتقص الإيمان منتقص الدين، وإن دخل الجنة كان دون المؤمنين في الجنة.^(٣) وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: من لم يأت قبر الحسين عليه السلام وهو يزعم أنه لنا شيعة حتى يموت فليس هو لنا بشيعة، وإن كان من أهل الجنة فهو من ضيفان أهل الجنة.^(٤)

وهذه المسألة من الواضوح بمكان، وقد علّلت بعض تلك الروايات السبب في التأكيد على زيارته عليه السلام بأنه حق من حقوق الإمام الحسين عليه السلام افترضه الله تعالى على كل مسلم، وأنه من مقتضيات الإقرار بإمامة الإمام الحسين عليه السلام.

وحسب رواية محمد بن مسلم في ما عوضه الله تعالى للإمام الحسين عليه السلام من قتله،

(١) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٢٣٧ الباب (٤٣) ان زيارة الحسين عليه السلام فرض وعهد لازم له ولجميع الأئمة عليهم السلام على كل مؤمن ومؤمنة ح [٣٥٤] ٤.

(٢) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٢٣٧ و٢٣٨ الباب (٤٣) ان زيارة الحسين عليه السلام فرض وعهد لازم له ولجميع الأئمة عليهم السلام على كل مؤمن ومؤمنة ح [٣٥٥] ٥.

(٣) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٣٥٥ الباب (٧٨) فيمن ترك زيارة الحسين عليه السلام ح [٦١٠] ١.

(٤) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٣٥٦ الباب (٧٨) فيمن ترك زيارة الحسين عليه السلام ح [٦١٢] ٣.

فإن لمن زار قبره أن الزمن الذي يستغرقه في زيارته ذهاباً وإياباً لا يُعدّ من عمره، وقد يتساءل البعض عن معنى هذا الأمر، رغم أننا نجد أن عدّاد العمر ما زال يدقّ ويمضي.

فما هو معنى أن زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) تزيد في العمر؟ وكيف نُكيّف بين هذا المعنى وبين ما صرح به القرآن الكريم من أن للإنسان أجلاً إذا جاء لا بد أن يقع، ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(١)

هذا ما يحتاج إلى بيان، فنقول:

بناءً على ما تقدم من أصل: حكمة الله تعالى، وأصل: اختيار الإنسان على نحو الأمر بين الأمرين، ونفي الجبر والتفويض، وأن الله تعالى ما زال قادراً على التصرف في مجريات الكون، فإن هناك مفهوماً قرآنياً هو مفهوم:

الأجل المحتوم وغير المحتوم.

إذ يؤكد القرآن الكريم على أن للإنسان أجلاً محتوماً لا يتأخر ولا يتقدم، ولكن هناك أجلاً آخر غير محتوم، وهو قابل للزيادة والنقصان، فما معنى هذين الأجلين؟

«هذا البحث يمكن توضيحه بمثال واحد بسيط وهو الآتي:

لو اشترى أحدهم سيارة جديدة بحيث يتوقع من صناعتها أن تدوم عشرين عاماً، بشرط المحافظة عليها وصيانتها، وفي هذه الحالة فإن الأجل الحتمي لهذه السيارة هو عشرون عاماً، ولكن لو لم تتحقق لها الصيانة المطلوبة وقام صاحبها بتسليمها إلى أشخاص لا مبالين وغير عارفين بقيادة السيارات، أو أن يحملها فوق طاقتها، أو أن يقودها بعنف في طرق وعرة يومياً، فإن أجلها المحتوم ذلك يمكن أن يهبط إلى النصف

أو العشر، وذلك هو الأجل المخروم»^(١).

وواضح أن هذا الاعتقاد ينسجم مع عقيدة (الأمر بين الأمرين) حيث يكون للإنسان الاختيار في فعل ما يزيد في العمر أو يُنقص فيه، ولا يتأتى مع عقيدة الجبر «التي تسلب اختيار الإنسان، فلا يكون له دور في صنع مصيره» ولا مع عقيدة التفويض «التي تسلب قدرة الله تعالى عن التدخل في مجريات الكون».

نماذج مما يزيد في العمر ومما يقطعه :

إذن، هناك أمور لو فعلها المرء فإن من شأنها أن تنقص من عمره ليموت قبل أجله المحتوم، كما أن هناك أفعالاً تؤثر في زيادة عمره، ومن أمثلة ذلك:

١ / نية العود أو عدم العود إلى مكة.

فقد ورد في الروايات الشريفة أن نية العود إلى مكة مما يزيد في العمر، وأن نية عدم العود إلى مكة المكرمة لمن كان فيها وخرج هي من قواطع الأجل، فقد روي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: «مَنْ رَجَعَ مِنْ مَكَّةَ وَهُوَ يَنْوِي الْحَجَّ مِنْ قَابِلٍ، زِيدَ فِي عُمُرِهِ»^(٢).

وَعَنْ حُسَيْنِ الْأَحْمَسِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «مَنْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَهُوَ لَا يُرِيدُ الْعَوْدَ إِلَيْهَا فَقَدْ اقْتَرَبَ أَجَلُهُ وَدَنَا عَذَابُهُ»^(٣).

ولذا أفتى الفقهاء باستحباب نية العود ووكراهة نية عدم العود إلى مكة المكرمة.

(١) الأمل في تفسير كتاب الله المنزل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج ١٤ ص ٤٧.

(٢) الكافي للكليني ج ٤ ص ٢٨١ بَابُ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ مُتَهَيِّئًا لِلْحَجِّ فِي كُلِّ وَقْتٍ ح ٣.

(٣) الكافي للكليني ج ٤ ص ٢٧٠ بَابُ مَنْ يَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ لَا يُرِيدُ الْعَوْدَ إِلَيْهَا/ ح ١٠١.

٢ / صلة أو قطع الرحم.

فعن إسحاق بن عمار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «مَا نَعْلَمُ شَيْئاً يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا صَلَةَ الرَّحِمِ، حَتَّى إِنْ الرَّجُلَ يَكُونُ أَجَلُهُ ثَلَاثَ سِنِينَ، فَيَكُونُ وَصُولاً لِلرَّحِمِ، فَيَزِيدُ اللَّهُ فِي عُمُرِهِ ثَلَاثِينَ سَنَةً، فَيَجْعَلُهَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَيَكُونُ أَجَلُهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، فَيَكُونُ قَاطِعاً لِلرَّحِمِ، فَيَنْقُصُهُ اللَّهُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَيَجْعَلُ أَجَلَهُ إِلَى ثَلَاثِ سِنِينَ»^(٤).

وقد روي عن مُيسّر، عن أحدهما (الإمام الباقر أو الصادق عليه السلام)، قال: قال لي: «يَا مُيسَّر، إِنِّي لَا أَظُنُّكَ وَصُولاً لِقَرَابَتِكَ»، قلت: نعم جُعِلَتْ فداك، لقد كنت في السوق وأنا غلام وأُجرتي درهمان، وكنت أُعطي واحداً عَمَّتِي وواحداً خالتي، فقال: «أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ حَضَرَ أَجْلُكَ مَرَّتَيْنِ، كُلُّ ذَلِكَ يُؤَخَّرُ»^(٥) بصلتك قرابتك»^(٦).

وعن حنان بن سدير رضي الله عنهما قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام وفينا ميسر فذكروا صلة القرابة. فقال أبو عبد الله عليه السلام: «يَا ميسر قد حضر أجلك غير مرة ولا مرتين، كل ذلك يؤخر الله أجلك لصلتك قرابتك، وإن كنت تريد أن يزداد في عمرك فبرِّ شيخيك (يعني أبويه)»^(٧).

٣ / الإحسان والذنوب.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «يَعِيشُ النَّاسُ بِإِحْسَانِهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا يَعِيشُونَ بِأَعْمَارِهِمْ، وَيَمُوتُونَ بِذُنُوبِهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا يَمُوتُونَ بِأَجَالِهِمْ»^(٨).

(٤) الكافي للكليني ج ٢ ص ١٥٢ و ١٥٣ باب صلة الرحم ح ١٧.

(٥) اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي (ج ٢ / ص ٥١٣ / ح ٤٤٧).

(٦) اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي (ج ٢ / ص ٥١٣ / ح ٤٤٨).

(٧) الدعوات (سلوة الحزين) لقطب الدين الراوندي ص ١٢٥ و ١٢٦ ح ٣٠٩.

(٨) الدعوات (سلوة الحزين) لقطب الدين الراوندي ص ٢١٩ ح ٣٣.

وقد أشبعت الروايات الشريفة هذا الجانب وذكرت العديد من الأسباب التي تزيد في العمر، والأخرى التي تنقص منه.

زيارة الإمام الحسين عليه السلام مما يزيد في العمر.

وفي هذا السياق نصّت الروايات الشريفة على أن من تلك الأسباب التي تزيد في عمر الإنسان هي زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

فعن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام، فإن إتيانه يزيد في الرزق ويمد في العمر ويدفع مدافع سوء، وإتيانه مفترض على كل مؤمن يقر للحسين بالإمامة من الله تعالى»^(١).

وعن منصور بن حازم قال: سمعناه يقول: «من أتى عليه حول لم يأت قبر الحسين عليه السلام انقص الله من عمره حولاً، ولو قلت: إن أحدكم ليموت قبل أجله بثلاثين سنة لكنت صادقاً، وذلك لأنكم تتركون زيارة الحسين عليه السلام، فلا تدعوا زيارته يمد الله في أعماركم ويزيد في أرزاقكم، وإذا تركتم زيارته نقص الله من أعماركم وأرزاقكم، فتنافسوا في زيارته، ولا تدعوا ذلك، فإن الحسين شاهد لكم في ذلك عند الله وعند رسوله، وعند أمير المؤمنين وعند فاطمة عليها السلام»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من لم يزر قبر الحسين عليه السلام، فقد حُرِمَ خيراً كثيراً ونقص من عمره سنة»^(٣).

(١) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٢٨٤ الباب (٦١) أن زيارة الحسين عليه السلام تزيد في العمر والرزق وأن تركها تنقصهما ح [٤٥٦] ١.

(٢) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٢٨٤ و ٢٨٥ الباب (٦١) أن زيارة الحسين عليه السلام تزيد في العمر والرزق وأن تركها تنقصهما ح [٤٥٧] ٢.

(٣) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٢٨٥ الباب (٦١) أن زيارة الحسين عليه السلام تزيد في

معنى «أن أيام زائري الحسين عليه السلام لا تحسب من أعمارهم ولا تعد من آجالهم»:

لقد صرحت رواية محمد بن مسلم أن مما عوضه الله تبارك وتعالى للإمام الحسين عليه السلام هو أن من يزوره، فإن الأيام التي يقضيها في زيارته لا تُعد من عمره، وهو ما صرح به أيضاً ما روي عن الهيثم بن عبد الله الرماني، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، «قال: قال أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: إن أيام زائري الحسين عليه السلام لا تُحسب من أعمارهم ولا تُعد من آجالهم»^(١).

وقد يُتساءل: ما هو معنى أن أيام زائري قبر أبي عبد الله عليه السلام لا تُعد من آجالهم ولا من أعمارهم؟

هنا عدة احتمالات، الأول منها هو الأظهر وربما المتعين، ولكن نذكر البقية كاحتمالات لا بأس بها:

الاحتمال الأول: وهو صريح الروايات من أن هناك أياماً إضافية تضاف على عمر الإنسان.

ولا ضير في ذلك بناءً على مفهوم الأجل المحتوم وغير المحتوم.

الاحتمال الثاني: أن المقصود هو ليست الزيادة الحقيقية لأيام العمر، وإنما هي بمعنى أنه يعطى أجر من عمل الأعمال الصالحة في عمر أطول.

الاحتمال الثالث: أن المقصود هو أن الأيام التي يقضيها المؤمن في زيارة الإمام الحسين عليه السلام لا يُحاسبه الله تعالى عليها، ففي يوم القيامة حيث سيحاسب الله تعالى

العمر والرزق وأن تركها تنقصهما ح [٤٥٨] ٣.

(١) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٢٥٩ و ٢٦٠ الباب (٥١) أن أيام زائري الحسين عليه السلام لا تعد من أعمارهم ح [٣٩١] ١.

الإنسان على كل لحظة من لحظات عمره فإنه لا يحاسبه على الساعات التي قضاها في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، على غرار ما ورد من أن الله تعالى لا يحاسب الإنسان على الزوجة التي يتخذها والمسكن والملبس والمأكل... بشرط كونها بالحلal ومن دون إسراف محرم.

فعن الإمام الباقر عليه السلام: «ثلاث لا يُسأل عنها العبد: خرقه يواري بها عورته، وكسرة يسدُّ بها جوعته، أو بيت يكتُّه من الحرِّ والبرد»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «ثلاثة أشياء لا يُحاسب عليهنَّ المؤمن: طعام يأكله، وثوب يلبسه، وزوجة صالحة تعاونه، ويحصن بها فرجه»^(٢).

(١) تفسير مجمع البيان للطبرسي ١٠: ٤٣٣.

(٢) الكافي للكليني ٦: ٢٨٠ / باب آخر في التقدير وأنَّ الطعام لا حساب له / ح ٢.

العض الخامس: رجعة الإمام الحسين عليه السلام^(١)

يظهر من بعض الروايات أن من التعويضات التي جعلها الله تبارك وتعالى للإمام الحسين عليه السلام وأصحابه هي الرجعة في دولة الإمام المهدي عليه السلام، إذ يفهم من بعض الروايات أن رجعته عليه السلام وأصحابه مما يكون عوضاً عن تضحيته وأصحابه في كربلاء، ومن ذلك ما روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «أنَّ الحسين عليه السلام قال لأصحابه: أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ، فَإِنَّكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ بَعْدَ مَا يَجْرِي عَلَيْنَا، ثُمَّ يُخْرِجُنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ حَتَّى يَظْهَرَ قَائِمُنَا، فَيَنْتَقِمَ مِنَ الظَّالِمِينَ، وَأَنَا وَأَنْتُمْ نُشَاهِدُهُمْ فِي السَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ وَأَنْوَاعِ الْعَذَابِ.

فَقِيلَ لَهُ: مِنْ قَائِمِكُمْ، يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ؟!

قال: السَّابِعُ مِنْ وَلَدِ ابْنِي مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ، وَهُوَ الْحُجَّةُ ابْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِي، وَهُوَ الَّذِي يَغِيبُ مُدَّةً طَوِيلَةً، ثُمَّ يَظْهَرُ وَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا.^(٢)

وحتى تتضح الصورة نذكر الأمور التالية:

(١) صحيح أن الرجعة تشمل كل أهل البيت عليه السلام حسب بعض الروايات، ولكن هناك تأكيداً شديداً على خصوص رجعة الإمام الحسين عليه السلام وكونه أول من تنشق عنه الأرض، وأنه يحاسب الناس في الرجعة، وأنه أخبر أصحابه بما يفهم منه أن رجعتهم هي تعويض لما جرى عليهم، ولذا يمكن القول بأن الرجعة له عليه السلام وبهذه الأدوار هي من التعويضات الإلهية له عليه السلام.

(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام ص ٤٩٨ الحديث

الأمر الأول: المفهوم العام للرجعة.

تعني الرجعة باختصار: رجوع بعض الموتى إلى الحياة الدنيا، في زمن ظهور الإمام المهدي عليه السلام وبأبدانهم التي ماتوا فيها، يحيون فترة من الزمن، ثم يموتون.

وهذا المعنى في حدّ نفسه لا يخرج عن الأصول العامة للدين، وهو يدخل تحت مفهوم القدرة المطلقة لله تعالى، والحكمة التي تأبى إلا أن يكون للفعل الإلهي غاية وهدف، علمنا به أو لم نعلم.

ويظهر من بعض الروايات أن الترشح للرجعة والتخير فيها، إنما يتوقف على بذل عمل صالح من الإنسان بإرادته، وبالتالي، تكون الرجعة نتيجة لأمرين: إرادة الإنسان، والقدرة المطلقة لله تعالى والمبسوطة في عالم الإمكان، غير المغلولة كما قالت المفوضة واليهود.

فلا يصح والحال هذي الحكم على من يقول بالرجعة بأنه يقول بمقالة غير إسلامية، كما يلوح ذلك من أمثال أحمد أمين، حيث حاول أن ينكر القول بالرجعة ويحاول الكيد بالتشيع فيقول: فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة.^(١)

وبعبارة أخرى واضحة:

إننا نحكم ببطلان عقيدة ما في إحدى حالات:

الأولى: أن تكون مخالفةً لضرورة عقلية.

كقول النصاري: إنَّ الله (تعالى) في عين كونه واحدًا هو ثلاثة (الأب والابن وروح القدس)، وكادعاء بعض المجسمة -ومنهم الوهابية- أنَّ الله (تعالى) يدًا مادية وعينًا مادية وما شاكل ذلك، فإنَّ هذا يستلزم التركيب والجسمية والمحدودية، مما يعني

(١) راجع: أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ج ١ ص ٥٥.

وجود الله (تعالى) في مكانٍ دون آخر، وهو محالٌّ؛ لأنَّ التركيب والجسمية والمحدودية من صفات الإمكان، وهو (جلّ في علاه) واجبٌ. تعالى الله عما يصفون علواً كبيراً.

الثانية: أن تكون مخالفةً لضرورةٍ عقلية.

كادعاء أنَّ النبي الأكرم ﷺ يهجر أو يخطئ؛ لأنه مخالفٌ لقوله (تعالى): ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١).

أو أن يدّعي شخص عدم وجوب الحجاب على المرأة، أو سقوط وجوب الصلاة في مرحلة كمالية معينة.

وليس في الرجعة ما يخالف ضرورة عقلية ولا عقلية.

بل إنَّ العقل والنقل دلّلا على إمكان البعث يوم القيامة، وهو رجوعٌ بصورةٍ شاملة وعامة وأكثر وأعقد من الرجعة، فكلُّ من آمن بالبعث والمعاد يلزمه أن يقول بإمكان الرجعة.

الثالثة: أن لا يدل على صحتها دليل عقلي ولا نقلي.

الأمر الثاني: مؤهلات الرجوع إلى الدنيا بعد الموت.

أشرنا إلى أن بعض الروايات بيّنت أن الرجوع إلى الدنيا زمن الظهور المبارك إنما هو فرع الوصول إلى مرحلة من الإيمان، تؤهل المؤمن للرجوع زمن الظهور المقدس، بل يظهر من بعضها أن الأمر سيكون اختيارياً للبعض.

أما ما هي مؤهلات تلك المرحلة؟

فالروايات صرّحت بمؤهلين، يرجعان إلى حقيقة واحدة، وهي التولي لأهل

البيت ﷺ والتسليم لأمرهم، والسير على نهجهم بما للكلمة من معنى.

المؤهل الأول: حب أهل البيت ﷺ.

وما يستلزمه هذا الحب من تنفيذ أوامره، والابتعاد عن نواهيهم، وموالة أوليائهم، ومعاداة أعدائهم.

ففي بعض روايات سبب تسمية الاحتضار بهذا الاسم، أنه لأجل حضور النبي الأعظم ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ للمؤمن تلك الساعة، وأنهم سيعملون على تخفيف عملية نزاع الروح، وأن عزرائيل يبشر المؤمن بأنه سيرجع مع المهدي ﷺ.

روي عن أبي عبد الله ﷺ أنه قال: «مِنْكُمْ وَاللَّهِ يُقْبَلُ، وَلَكُمْ وَاللَّهِ يُغْفَرُ، إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَغْتَبِطَ وَبَرَى الشَّرُّورَ وَفُرَّةَ الْعَيْنِ إِلَّا أَنْ تَبْلُغَ نَفْسُهُ هَاهُنَا - وَأَوْمًا بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ - ثُمَّ قَالَ ﷺ: «إِنَّهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ وَاحْتَضَرَ، حَضَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلِيٌّ ﷺ وَجَبْرِئِيلُ وَمَلَكُ الْمَوْتِ ﷺ فَيَدْنُو مِنْهُ عَلِيٌّ ﷺ فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا كَانَ يُحِبُّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَأَحْبِبْهُ، وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا جَبْرِئِيلُ، إِنَّ هَذَا كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَهْلَ بَيْتِ رَسُولِهِ، فَأَحْبِبْهُ، وَيَقُولُ جَبْرِئِيلُ لِلْمَلَكِ الْمَوْتِ ﷺ: إِنَّ هَذَا كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَهْلَ بَيْتِ رَسُولِهِ، فَأَحْبِبْهُ وَارْفُقْ بِهِ، فَيَدْنُو مِنْهُ مَلَكُ الْمَوْتِ ﷺ فَيَقُولُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَخَذْتَ فَكَأَكْ رَقِيَّتِكَ، أَخَذْتَ أَمَانَ بَرَاءَتِكَ، تَمَسَّكَتَ بِالْعِصْمَةِ الْكُبْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؟ قَالَ: فَيُوقِّعُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: وَمَا ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: وَلَايَةُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ.

فَيَقُولُ: صَدَقْتَ، أَمَّا الَّذِي كُنْتَ تَحَذِّرُهُ، فَقَدْ آمَنَكَ اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الَّذِي كُنْتَ تَرْجُوهُ فَقَدْ أَدْرَكَتَهُ، أَبَشِّرِ بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ، مُرَافِقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ ﷺ، ثُمَّ يَسْأَلُ نَفْسَهُ سَلَاءً رَفِيقًا، ثُمَّ يَنْزِلُ بِكَفْنِهِ مِنَ الْجَنَّةِ وَحَنُوطِهِ مِنَ الْجَنَّةِ بِمِسْكِ أَذْفَرٍ، فَيُكْفَنُ بِذَلِكَ

الْكَفَنِ وَيُحَنِّطُ بِذَلِكَ الْحَنُوطِ، ثُمَّ يَكْسِي حُلَّةَ صَفَرَاءَ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ فَتُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ رَوْحِهَا وَرِيحَانِهَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ عَنْ أَمَامِهِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ، ثُمَّ يَقَالُ لَهُ: نَمِ نَوْمَةَ الْعُرُوسِ عَلَى فِرَاشِهَا، أَتَبَشِّرُ بِرَوْحٍ وَرِيحَانٍ وَجَنَّةٍ نَعِيمٍ وَرَبِّ غَيْرِ غَضْبَانٍ، ثُمَّ يَزُورُ آلَ مُحَمَّدٍ فِي جَنَانِ رَضْوَى، فَيَأْكُلُ مَعَهُمْ مِنْ طَعَامِهِمْ، وَيَشْرَبُ مِنْ شَرَابِهِمْ وَيَتَحَدَّثُ مَعَهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ، حَتَّى يَقُومَ قَائِمُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَإِذَا قَامَ قَائِمُنَا بَعَثَهُمُ اللَّهُ فَأَقْبَلُوا مَعَهُ يُلَبُّونَ زُمْرًا زُمْرًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَرْتَابُ الْمُبْطِلُونَ وَيُضْمَحِلُّ الْمُجْلُونَ، وَقَلِيلٌ مَا يَكُونُونَ، هَلَكَتِ الْمَحَاضِيرُ، وَنَجَا الْمُقَرَّبُونَ.

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيِّ ﷺ: أَنْتَ أَخِي وَمِعَادُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَادِي السَّلَامِ.

قَالَ ﷺ: وَإِذَا اخْتَضَرَ الْكَافِرُ، حَضَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلِيٌّ ﷺ وَجَبْرِئِيلُ وَمَلَكُ الْمَوْتِ ﷺ فَيَدْنُو مِنْهُ عَلِيٌّ ﷺ فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا كَانَ يُبْغِضُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَأَبْغِضْهُ. وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا جَبْرِئِيلُ، إِنَّ هَذَا كَانَ يُبْغِضُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَهْلَ بَيْتِ رَسُولِهِ فَأَبْغِضْهُ. فَيَقُولُ جَبْرِئِيلُ: يَا مَلَكُ الْمَوْتِ، إِنَّ هَذَا كَانَ يُبْغِضُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَهْلَ بَيْتِ رَسُولِهِ فَأَبْغِضْهُ وَاعْتَفُ عَلَيْهِ.

فَيَدْنُو مِنْهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَقُولُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَخَذْتَ فَكَأَكْ رَهَانِكَ أَخَذْتَ أَمَانَ بَرَاءَتِكَ تَمَسَّكَتَ بِالْعِصْمَةِ الْكُبْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: أَتَبَشِّرُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ بِسَخَطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَذَابِهِ وَالنَّارِ، أَمَّا الَّذِي كُنْتَ تَحَذَّرُهُ فَقَدْ نَزَلَ بِكَ، ثُمَّ يَسْأَلُ نَفْسَهُ سَلًا عَنيفًا، ثُمَّ يُوَكِّلُ بِرُوحِهِ ثَلَاثَةَ شَيْطَانٍ كُلُّهُمْ يَبْزُقُ فِي وَجْهِهِ، وَيَتَأَذَّى بِرُوحِهِ، فَإِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ فَتُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ فَيَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ قِيَحِهَا وَلَهَبِهَا^(١).

(١) الكافي للكليني ج ٣ ص ١٣٢ باب ما يُعَايِنُ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ ح ٤.

المؤهل الثاني: انتظار الفرج.

بما يعني هذا المفهوم من التهيؤ الدائم للظهور، والعمل على نشر القضية المهدوية، وتطبيق العدل بما يسع المرء، بدءً بنفسه ثم عائلته ثم المؤمنين، والابتعاد عن نواهي الله تبارك وتعالى، ففي مكاتبة الإمام المهدي (عليه السلام) للشيخ المفيد: «فليعمل كل امرئ منكم بما يقرب به من محبتنا، ويتجنب ما يذنيه من كراحتنا وسخطنا، فإنَّ أمرنا بغتة فجاءة حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة. والله يلهمكم الرشد، ويلطف لكم في التوفيق برحمته»^(١).

إنَّ المؤمن المنتظر إذا مات قبل ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) فإنَّه سيُبشَّر بذلك وهو في قبره، ويُخَيَّر في الرجوع إلى الدنيا لنصرة القائم (عليه السلام).

وهذا ما أشارت إليه الروايات الشريفة، فقد روي عن المفصل بن عمر، قال: ذكرنا القائم (عليه السلام) ومن مات من أصحابنا ينتظره، فقال لنا أبو عبد الله (عليه السلام): «إذا قام أتى المؤمن في قبره فيقال له: يا هذا! إنَّه قد ظهر صاحبك، فإن تشأ أن تلحق به فالحق، وإن تشأ أن تقيم في كرامة ربك فأقم»^(٢).

وفي نفس السياق جاء عن الإمام الباقر (عليه السلام): «... وإنَّ لأهل الحق دولة إذا جاءت ولأهل الله لمن يشاء من أهل البيت، فمن أدركها منكم كان عندنا في السنام الأعلى، وإن قبضه الله قبل ذلك خار له...»^(٣).

فقوله (عليه السلام): «خار له» يُراد منه ما أشارت له الرواية السابقة من التخير بين البقاء أو الرجوع، والله العالم.

(١) الاحتجاج ٢: ٣٢٣ و ٣٢٤.

(٢) الغيبة للطوسي: ٤٥٨ و ٤٥٩ / ح ٤٧٠.

(٣) الغيبة للنعماني: ٢٠١ / باب ١١ / ح ٢.

الأمر الثالث: من النصوص الدالة على رجعة الإمام الحسين عليه السلام

دلت العديد من النصوص على أن الإمام الحسين عليه السلام سيكون أول الراجعين من أهل البيت عليهم السلام، وبعضها صرحت برجعة أصحابه الذين استشهدوا معه، ومن تلك النصوص التالي:

النص الأول:

روي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ الْبَطَلِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ قَالَ: «قَتَلَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَطَعَنُ الْحَسَنَ عليه السلام وَلَتَعْلَنَ غُلُوًّا كَبِيرًا» قَالَ: قَتَلَ الْحُسَيْنَ عليه السلام: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ فَإِذَا جَاءَ نَصْرُ دَمِ الْحُسَيْنِ عليه السلام ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ قَوْمٌ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ قَبْلَ خُرُوجِ الْقَائِمِ عليه السلام فَلَا يَدْعُونَ وَتِرَآ لَالٍ مُحَمَّدٍ إِلَّا قَتَلُوهُ. ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ خُرُوجِ الْقَائِمِ عليه السلام: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ خُرُوجِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فِي سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِمُ الْبَيْضُ الْمَذْهَبُ لِكُلِّ بَيْضَةٍ وَجْهَانِ الْمُؤَدُّونَ إِلَى النَّاسِ أَنَّ هَذَا الْحُسَيْنَ قَدْ خَرَجَ؛ حَتَّى لَا يَشْكَّ الْمُؤْمِنُونَ فِيهِ وَأَنَّهُ لَيْسَ بِدَجَالٍ وَلَا شَيْطَانٍ وَالْحُبَّةُ الْقَائِمُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَإِذَا اسْتَقَرَّتِ الْمَعْرِفَةُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ الْحُسَيْنُ عليه السلام جَاءَ الْحُبَّةُ الْمَوْتُ فَيَكُونُ الَّذِي يُعَسِّلُهُ وَيُكَفِّنُهُ وَيُحَنِّطُهُ وَيُلْحِدُهُ فِي حُفْرَتِهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام، وَلَا يَلِي الْوَصِيَّ إِلَّا الْوَصِيُّ»^(١).

النص الثاني:

روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: أَنَّ الْحُسَيْنَ عليه السلام قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «أَبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ،

(١) الكافي للكليني ج ٨ ص ٢٠٦ و ٢٠٧ ح ٢٥٠.

فَوَاللَّهِ، إِنَّا نَمَكُّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ بَعْدَ مَا يَجْرِي عَلَيْنَا، ثُمَّ يُخْرِجُنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ حَتَّى يَظْهَرَ قَائِمُنَا، فَيَتَّقِمَ مِنَ الظَّالِمِينَ وَأَنَا وَأَنْتُمْ نُشَاهِدُهُمْ فِي السَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ وَأَنْوَاعِ الْعَذَابِ».

فَقِيلَ لَهُ: مَنْ قَائِمُكُمْ، يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ؟

قال: «السَّابِعُ مِنْ وَلَدِ ابْنِي مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ، وَهُوَ الْحُجَّةُ ابْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِي، وَهُوَ الَّذِي يَغِيبُ مُدَّةً طَوِيلَةً، ثُمَّ يَظْهَرُ وَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا»^(١).

النص الثالث:

روى القمي في تفسيره أَنَّ اللَّهَ (تعالى) أَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَبَشَّرَهُ بِالْحُسَيْنِ ﷺ قَبْلَ حَمْلِهِ وَأَنَّ الْإِمَامَةَ تَكُونُ فِي وَلَدِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ أَخْبَرَهُ بِمَا يُصِيبُهُ مِنَ الْقَتْلِ وَالْمُصِيبَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ ثُمَّ عَوَّضَهُ بِأَنْ جَعَلَ الْإِمَامَةَ فِي عَقْبِهِ وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ يُقْتَلُ، ثُمَّ يَرُدُّهُ إِلَى الدُّنْيَا وَيَنْصُرُهُ حَتَّى يَقْتُلَ أَعْدَاءَهُ وَيَمْلِكَهُ الْأَرْضَ وَهُوَ قَوْلُهُ (عز من قائل): ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص ٥].^(٢)

النص الرابع:

عن الإمام الصادق ﷺ: «أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ وَيَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ»^(٣).

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين ﷺ لجنة الحديث في معهد باقر العلوم ﷺ ص ٤٩٨ الحديث ٤٧٦.

(٢) تفسير القمي علي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ٢٩٧.

(٣) مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلبي: ٢٤.

النص الخامس:

عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يَكْرُ فِي الرِّجْعَةِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ (عليه السلام)، وَبِمَكْثٍ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى يَسْقُطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ»^(١).

النص السادس:

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «قال الحسين بن علي (عليه السلام) لأصحابه قبل أن يقتل: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لِي: يَا بَنِي، إِنَّكَ سَتَسَاقُ إِلَى الْعِرَاقِ، وَهِيَ أَرْضٌ قَدْ اتَّقَى بِهَا النَّبِيُّونَ وَأَوْصِيَاءُ النَّبِيِّينَ، وَهِيَ أَرْضٌ تَدْعَى عَمُورًا، وَإِنَّكَ تَسْتَشْهَدُ بِهَا، وَيَسْتَشْهَدُ مَعَكَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِكَ لَا يَجِدُونَ أَلَمَ مَسِّ الْحَدِيدِ، وَتَلَا: ﴿قُلْنَا يَنَّاؤُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾^(٢) تكون الحرب عليك وعليهم بردًا وسلامًا، فَأَبَشِرُوا، فَوَاللَّهِ، لَئِنْ قَتَلُونَا فَإِنَّا نَرُدُّ عَلَى نَبِينَا. قَالَ: ثُمَّ أَمَكْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ، فَأَخْرُجُ خَرْجَةً يُوَافِقُ ذَلِكَ خَرْجَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَقِيَامَ قَائِمِنَا، وَحَيَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ثُمَّ لَيَنْزِلَنَّ عَلَيَّ وَفْدٌ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لَمْ يَنْزِلُوا إِلَى الْأَرْضِ قَطُّ، وَلَيَنْزِلَنَّ إِلَيَّ جِبْرِئِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ، وَجُنُودٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَلَيَنْزِلَنَّ مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ وَأَنَا وَآخِي وَجَمِيعٌ مِنْ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِ، فِي حُمُولَاتٍ مِنْ حُمُولَاتِ الرَّبِّ، خَيْلٌ بُلُقٌ مِنْ نُورٍ لَمْ يَرْكَبْهَا مَخْلُوقٌ، ثُمَّ لَيَهْزَنَ مُحَمَّدٌ لِيُؤَاهُ وَلَيَدْفَعَنَّهُ إِلَى قَائِمِنَا مَعَ سَيْفِهِ، ثُمَّ إِنَّا نَمُكْتُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ...»^(٣)

النص السابع:

عَنْ حَرِيزٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): جُعِلْتُ فِدَاكَ، مَا أَقَلَّ بَقَاءَكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَأَقْرَبَ آجَالِكُمْ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ مَعَ حَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْكُمْ؟!

(١) مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلبي: ١٨.

(٢) الأنبياء: ٦٩.

(٣) الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي ج ٢ ص ٨٤٨ و ٨٤٩ ب ١٦ فصل في الرجعة / ح ٦٣.

فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا صَحِيفَةً فِيهَا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ فِي مُدَّتِهِ، فَإِذَا انْقَضَى مَا فِيهَا بِمَا أُمِرَ بِهِ عَرَفَ أَنَّ أَجَلَهِ قَدْ حَضَرَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَنْعِي إِلَيْهِ نَفْسَهُ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَنَّ الْحُسَيْنَ ﷺ قَرَأَ صَحِيفَتَهُ الَّتِي أُعْطِيَهَا وَفُسِّرَ لَهُ مَا يَأْتِي بِنَعْيٍ وَبِقِيَّ فِيهَا أَشْيَاءُ لَمْ تُقْضَ، فَخَرَجَ لِلْقِتَالِ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْأُمُورُ الَّتِي بَقِيَتْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ سَأَلَتْ اللَّهَ فِي نُصْرَتِهِ فَأَذِنَ لَهَا، وَمَكَثَتْ تَسْتَعِدُّ لِلْقِتَالِ وَتَتَأَهَّبُ لَذَلِكَ، حَتَّى قُبِلَ فَنَزَلَتْ وَقَدْ انْقَطَعَتْ مُدَّتُهُ وَقُبِلَ ﷺ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ أَذْنَتْ لَنَا فِي الْإِنْجَادِ وَأَذْنَتْ لَنَا فِي نُصْرَتِهِ، فَاِنْحَدِرْنَا وَقَدْ قَبِضْتَهُ!

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِمْ: أَنْ الزُّمُوا قَبْرَهُ حَتَّى تَرَوْهُ وَقَدْ خَرَجَ^(١)، فَاِنْصُرُوهُ وَابْكُوا عَلَيْهِ وَعَلَى مَا فَاتَكُمْ مِنْ نُصْرَتِهِ، فَإِنَّكُمْ قَدْ خُصِّصْتُمْ بِنُصْرَتِهِ وَبِالْبُكَاءِ عَلَيْهِ.

فَبَكَتِ الْمَلَائِكَةُ تَعْزِيًّا وَحُزْنًا عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنْ نُصْرَتِهِ، فَإِذَا خَرَجَ يَكُونُونَ أَنْصَارَهُ.^(٢)

النص الثامن:

عن أبي عبد الله ﷺ أنه سُئِلَ عن الرجعة أحق هي؟ قال: نعم. فقليل له: من أول من يخرج؟ قال: الحسين ﷺ يخرج على أثر القائم ﷺ. قلت: ومعه الناس كلهم؟ قال ﷺ: لا. بل كما ذكر الله تعالى في كتابه ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾^(٣) قوم بعد قوم.^(٤)

(١) (وحتى تروه وقد خرج) إشارة إلى رجعته في زمان القائم ﷺ [هامش المصدر]

(٢) الكافي للكليني ج ١ ص ٢٨٣ و ٢٨٤ / بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ ﷺ لَمْ يَفْعَلُوا شَيْئًا وَلَا يَفْعَلُونَ إِلَّا بِعَهْدٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأُمِرَ مِنْهُ لَا يَتَجَاوَزُوهُ ذِيلَ الْحَدِيثِ رَقْم (٤).

(٣) النبأ (١٨).

(٤) مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلي ص ٤٨.

النص التاسع:

عن أبي عبد الله عليه السلام «ويقبل الحسين عليه السلام في أصحابه الذين قُتلوا معه، ومعه سبعون نبياً كما بعثوا مع موسى بن عمران عليه السلام، فيدفع إليه القائم عليه السلام الخاتم، فيكون الحسين عليه السلام هو الذي يلي غسله وكفنه وحنوطه ويواري به في حفرته»^(١).

النص العاشر:

في رواية جابر عن أبي جعفر عليه السلام: «ثم يخرج المنتصر إلى الدنيا فيطلب بدمه ودماء أصحابه»^(٢).

الأمر الرابع: الهدف من رجعة الإمام الحسين عليه السلام ودوره.

بملاحظة النصوص الواردة في رجعته عليه السلام، يمكن القول بأن الهدف من رجوعه هو التالي:

١/ الوصول بالأمة إلى هدفه الذي نهض من أجله، وحالت الظروف دون وصوله إليه «الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله»...^(٣)

٢/ قيادة دولة الإمام المهدي عليه السلام بعد موته، ولذلك ذكرت الرواية أن الإمام المهدي عليه السلام سيكون موته بعد استقرار معرفة الناس بأن هذا هو الإمام الحسين عليه السلام...

إن الإصلاح الذي ثار من أجله الإمام الحسين عليه السلام غايته العدل والقسط، وهو ما لم تتح الفرصة المواتية لتحقيقه آنذاك، وهو ما سيتم على يدي المهدي عليه السلام وسيكون للإمام الحسين عليه السلام دور في ذلك أيضاً.

(١) مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلي ص ٤٨ و ٤٩.

(٢) مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلي ص ٤٩.

(٣) الشيخ محمد السند في حوار أجرته معه مجلة الإصلاح الحسيني العدد الثاني ص ٣١.

٣/ حساب الإمام الحسين (عليه السلام) للخلق قبل يوم القيامة، وهو ما سيأتي بيانه في البحث التالي إن شاء الله تعالى.

٤/ إنه (عليه السلام) هو الذي يلي أمر الإمام المهدي (عليه السلام) بعد وفاته، لأن الوصي لا يلي أمره إلا الوصي، فهو (عليه السلام) من سيغسل الإمام المهدي (عليه السلام) ويولي أمره.

وهنا سؤال:

إذا كان الوصي لا يلي أمره إلا الوصي، فعند موت الإمام المهدي (سلام الله عليه) يلي أمره الامام الحسين (عليه السلام)، فإن مات الإمام الحسين (عليه السلام) من الذي يلي أمره؟ وإن قلنا يأتي بعده أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وهو الذي يلي أمره وهكذا فإذا وصلنا إلى آخر معصوم بحيث لا يرجع بعده معصوم آخر ليلي أمره، فمن الذي يغسله؟

الجواب:

إنَّ قاعدة (لا يلي أمر المعصوم إلا المعصوم) ليست قاعدة عقلية، فلا ضير في خرقها لمصلحة ما.

للتوضيح: القاعدة العقلية هي القاعدة التي لا تختلف ولا تتخلف، كمجموع زوايا المثلث التي تساوي ١٨٠ درجة، فلا يمكن أن تختلف باختلاف الظروف والزمان والمكان، كما لا يمكن أن تتخلف فيكون مثلث ما من المثلثات مجموع زواياه أقل أو أكثر من ١٨٠ درجة. وكاجتماع النقيضين فهو أمرٌ محال، لا يختلف في ذلك ولا يتخلف ولا يقبل الاستثناء.

ومعه، فمن الواضح أنَّ قاعدة (لا يلي أمر المعصوم إلا المعصوم) هي ليست قاعدة عقلية، وإنَّها هي قاعدة عادية إن صحَّ التعبير، بمعنى أننا وجدنا أن من علامات الإمام اللاحق أنه يغسل ويصلي على الإمام السابق، وهو كما ذكر في الروايات الشريفة. لذلك

عندما توفي الإمام الحسن العسكري عليه السلام خرج جعفر ليصلي عليه، فخرج الإمام المهدي (صلوات الله وسلامه عليه) وكان صبياً وعمره خمس سنوات وقال: «تأخر يا عم، فأنا أحق بالصلاة على أبي»، فتأخر جعفر، وقد أربد وجهه واصفر.^(١)

فهي قاعدة عادية لا عقلية ويمكن أن تختلف وتختلف.

ومعه، فيمكن القول: إننا نؤمن بأن الله ﷻ سيهيئ شخصاً لا ثَقلاً ليُلي أمر المعصوم الأخير.

تفسير: أن الإمام الحسين عليه السلام يُحاسب الخلق قبل يوم القيامة.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الذي يلي حساب الناس قبل يوم القيامة الحسين بن علي عليه السلام، فأما يوم القيامة فإنما هو بعث إلى الجنة أو بعث إلى النار».^(٢)

كما دلت الروايات الشريفة على أن الإمام الحسين عليه السلام هو أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا، كذلك دلت بعض الروايات الشريفة على أنه عليه السلام سيحاسب الناس في الرجعة وقبل يوم القيامة، وقد تسبب مثل هذه الروايات الشريفة شبهة عند البعض مفادها: إننا نعلم أن الله تعالى هو الذي يحاسب الناس ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٣) فكيف تقول هذه الرواية: إن الإمام الحسين عليه السلام سيحاسب الناس في الرجعة؟

ولبيان المسألة نحتاج إلى بيان أمور:

الأمر الأول: الأسماء الإلهية مستأثرة وغير مستأثرة.

قُسمت الأسماء الإلهية إلى قسمين:

(١) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص ٤٧٥ ب ٤٣.

(٢) مختصر البصائر الحسن بن سليمان الحلبي ص ١٣٣.

(٣) المائدة ٤.

القسم الأول: الأسماء والصفات المستأثرة، وهي الأسماء التي تحكي عن نفس الذات الإلهية المقدسة، مما يعني أنها لا تصح إلا في واجب الوجود، وهذه لا يصح لأحد أن يتسمى بها، لاختصاصها به جل وعلا، مثل أسماء: الله، واجب الوجود، اللا متناهي، والا محدود، ومثلاً (الذي نفسي بيده) و(الذي فلق الحبة وبرأ النسمة)، و(مقلب القلوب والأبصار) وما شابه...^(١)

القسم الثاني: الأسماء المشتركة بينه جل وعلا وبين غيره -باعتبار فكرة التشكيك-، كأسماء: الرب، والخالق، والرازق، وغيرها، وهذه الأسماء، إن أُريد منها مرتبتها الوجودية المطلقة والا محدودة، فهي من مختصات الله جل وعلا، وإن أُريد منها المرتبة الممكنة منها، فهي من مختصات الممكنات، ويمكن إطلاقها عليها، ومن هنا، نجد أن القرآن الكريم استعمل صيغة أفعال التفضيل في بعض الأسماء، من قبيل ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٢)، أو استعمل الأسماء مشتركة بينه وبين غيره من

(١) - وترتبت على هذا بعض الأحكام الفقهية، من قبيل ما جاء في منهاج الصالحين - السيد السيستاني ج ٣ مسألة ٦٨٨: لا تنعقد اليمين إلا إذا كان المقسم به هو الله تعالى دون غيره مطلقاً، وذلك يحصل بأحد أمور:

١ - ذكر اسمه المختص به كلفظ الجلالة، ويلحق به ما لا يطلق على غيره كالرحمن.
٢ - ذكره بأوصافه وأفعاله المختصة التي لا يشاركه فيها غيره كمقلب القلوب والأبصار، والذي نفسي بيده، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، وأشبه ذلك...

(٢) المؤمنون ١٤/ وهنا تنبيه مفيد: في بيان الفرق بين اسم الخالق والبارئ:
البارئ في اللغة اسم فاعل من مادة (برأ)، وهو أصلاً، أحدهما (الخلق)، والآخر (التباعد من الشيء ومزايته)، ومن الأصل الأول يقال: برأ الله الخلق، يبرؤهم، برأ: خلقهم، وهو البارئ: الخالق. [موسوعة العقائد الإسلامية محمد الريشهري: ج ٤، ص ٤٥؛ نقلاً عن معجم مقاييس اللغة: ١/ ٢٣٦؛ المصباح المنير: ٤٧؛ المحيط في اللغة: ١٠/ ٢٧٤].
والخلق يلزم القدرة بلا شك.

وفي لسان العرب: البارئ: هو الذي خلق الخلق لا عن مثال. قال: ولهذه اللفظة من الاختصاص

الممكنات، من قبيل قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة ١١]

الأمر الثاني: معاني التفويض.

يستعمل التفويض في عدة معانٍ:

المعنى الأول: أن الله (تعالى) بعد أن خلق الإنسان فوّض إليه أفعاله. فالإنسان مستقل تماماً في إيجاد أفعاله عن الله ﷻ، أي إنه ليس بحاجة إلى الله (تعالى) في أفعاله، نعم الله ﷻ قادر على تلك الأفعال وقدرته لم تُسلب منه (جل وعلا)، لكن في الوقت نفسه قد استغنى عنه الإنسان وبات مستقلاً في أفعاله، رغم أنه ممكن ومن أبرز سماته الافتقار وجوداً واستمراراً!

المعنى الثاني: أن الله ﷻ بعد أن خلق الإنسان فوّض إليه أفعاله، فالإنسان مستقل تماماً في إيجاد أفعاله عن الله ﷻ، أي إنه لا يحتاج إلى الله (تعالى) في أفعاله، وعلاوةً على ذلك فإنه ﷻ غير قادر على التحكم في أفعال الإنسان فلا يستطيع منعه من القيام بفعلٍ ما مثلاً.

وهذا المعنى أقبح وأردأ من الأول.

وهما ما قالت بهما المعتزلة.

المعنى الثالث: أن الله (تعالى) يوكل بعض الأمور لبعض مخلوقاته في أن يفعلوها حسب اختيارهم، لكن لا يخرج أولئك المخلوقون لا هم ولا أفعالهم عن قدرة الله

بخلق الحيوان ما ليس لها غيره من المخلوقات، وقلّما تستعمل في غير الحيوان، فيقال: برأ الله النسيمة وخلق السماوات والأرض. [لسان العرب ابن منظور: ج ١، ص ٣١].

ومنه يظهر «أن الباري يُستعمل في الحيوان كثيراً دون الخالق، ولأجل ذلك صحّ الجمع بين الخالق والباري في بعض الآيات»، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الحشر: ٢٤).

(تعالى) وعن إذنه وعن أمره (جل وعلا)، فيبقى الله ﷻ قادراً وغير عاجز، ولكنه يوكل إلى بعض عباده فعل أمور محددة.

وقد ورد هذا المعنى في كثير من الروايات والآيات الشريفة، وهذا المعنى على نوعين:

النوع الأول: التفويض التكويني:

نحن نعلم أن الأمور كلها بيد الله تعالى، فهو خالق كل شيء وبارئ كل شيء، ولا شيء يخرج عن أمره، ولكن مع ذلك نجد أن هناك أموراً قد أوكل الله تعالى عملها إلى بعض مخلوقاته، فمثلاً هناك ملك للموت، وملك للمطر، وهناك ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾^(١)

﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٢)

وأوضح ما يدل على ذلك هي مسألة الموت، ففي عدة آيات نجد أن نسبة عملية الموت قد اختلفت، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(٣).

ثم قال: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾^(٤).

ثم قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾^(٥).

فأنت تجد في هذه الآيات الكريمة أن الله تعالى مرة ينسب التوفي له (جل وعلا)

(١) النازعات: ٥.

(٢) الرعد ١٠ و ١١.

(٣) الزمر: ٤٢.

(٤) السجدة: ١١.

(٥) الأعراف: ٣٧.

ومرة لملك الموت وثالثة لرسله، وهذا لا تنافي فيه ولا مشكلة، ففي الآية الأولى نسب الله تعالى توفي الأنفس إليه نفسه، لأنه تعالى خالق كل شيء وهو خالق الموت والحياة كليهما، وفي الآية الثانية بين الله تعالى أن أمر التوفي قد أوكله إلى ملك الموت، فملك الموت هو الأمر الأول بالموت، لكن بإذن الله تعالى، وملك الموت يبعث رسلاً، أي ملائكة لتقوم بمهمة قبض روح هذا أو ذاك... فلا منافاة بين هذه الآيات، وبه يتضح معنى التفويض المقبول إسلامياً، إنه تفويض بأمر الله تعالى وبإذنه مع عدم خروج المفوض والأمر المفوض فيه عن قدرة الله تعالى.

الثاني: التفويض التشريعي:

وهو أن يأذن الله ﷻ لبعض عباده وفق مواصفات خاصة بأن يعطوا تشريعات وفق المصالح والمفاسد الواقعية. ومثاله تفويض الله (تعالى) مهمة التشريع للمعصومين ﷺ وهو المصطلح عليه بين المتكلمين بالولاية التشريعية^(١). ومستنده من القرآن الكريم قوله ﷻ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر ٧].

والمعنى الثالث من بين المعاني الثلاثة للتفويض هو الذي يتوافق مع ما يذهب إليه أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم): أنه لا جبر ولا تفويض وإنما هو أمر بين أمرين.

إذا فهمنا هذين الأمرين، حينئذ سنفهم نوعين من الروايات الشريفة:

النوع الأول: ما ورد من أن حساب الشيعة في يوم القيامة سيوكل إلى أئمتهم ﷺ. فعن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد ﷺ يقول: «إذا اجتمع الخلائق يوم القيامة لفصل القضاء وضع للأئمة منابر من نور، فصير الله تعالى حساب

(١) على خلاف في ثبوتها، وفي معناها على فرض ثبوتها، مذكور في محله في كتب علم الكلام.

شيعتنا الينا، فما كان بينهم وبين الله استوهبناه، وما كان بينهم وبين العباد قضيناه، وما كان بيننا وبينهم فنحن أحق بالعتو عنهم، ومن ذلك قول الله تعالى ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾^(١).^(٢)

وعن عبد الله ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إذا كان يوم القيامة وكلنا الله بحساب شيعتنا، فما كان لله سألنا الله أن يهبه لنا فهو لهم، وما كان لنا فهو لهم، ثم قرأ أبو عبد الله عليه السلام: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾».^(٣)

وعن جميل قال: «قلت لأبي الحسن عليه السلام أحدثهم بتفسير جابر؟ قال: لا تحدث به السفلة فيويخوه، أما تقرأ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾؟ قلت: بلى، قال: إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأولين والآخرين ولأنا حساب شيعتنا، فما كان بينهم وبين الله حكمنا على الله فيه فأجاز حكومتنا، وما كان بينهم وبين الناس استوهبناه منهم فوهبوه لنا، وما كان بيننا وبينهم فنحن أحق من عفا وصفح».^(٤)

النوع الثاني: ما ورد من أن الإمام الحسين عليه السلام سيحاسب الناس في الرجعة.
فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الذي يلي حساب الناس قبل يوم القيامة الحسين بن علي عليه السلام، فأما يوم القيامة فإنما هو بعث إلى الجنة أو بعث إلى النار».^(٥)
أي إنه «أول من يحاكم الناس في أواخر الرجعة... مقدمة للحساب الكامل...

(١) الغاشية ٢٥ و ٢٦.

(٢) شرح الأخبار القاضي النعمان المغربي ج ٣ ص ٤٤١ ح ١٢٩٩.

(٣) الأمالي الشيخ الطوسي ص ٤٠٦ ح ٩١١ / ٥٩.

(٤) بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٨ ص ٥٠.

(٥) مختصر البصائر الحسن بن سليمان الحلبي ص ١٣٣.

فحساب الخلق علي يديه (عليه السلام) (١).

فهذه المسألة لا تخرج عن حد التوحيد، لأنه بإذنه تعالى، وهو نوع من التفويض الممكن.

فائدة تربوية: وضع النفس في موضعها المناسب.

من الواضح أن هناك أموراً لا ينبغي أن يباشرها المرء بنفسه، لعدم كونها مناسبة لشأنه، فلذلك يكره للمرء أن يتولى دني الأمور خصوصاً إذا كان ثرياً، أو ما عبرت عنه الروايات بالرجل السري.

فقد روي أنه قَدِمَ أَعْرَابِيٌّ بِإِبِلٍ لَهُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَعْ بِإِبِلِي هَذِهِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَسْتُ بِبَيْعٍ فِي الْأَسْوَاقِ. قَالَ: فَأَشْرُ عَلَيَّ. فَقَالَ ﷺ لَهُ: بَعْ هَذَا الْجَمَلَ بِكَذَا، وَبَعْ هَذِهِ النَّاقَةَ بِكَذَا، حَتَّى وَصَفَ لَهُ كُلَّ بَعِيرٍ مِنْهَا.

فَخَرَجَ الْأَعْرَابِيُّ إِلَى السُّوقِ فَبَاعَهَا ثُمَّ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا زَادَتْ دِرْهَمًا وَلَا نَقَصَتْ دِرْهَمًا مِمَّا قُلْتُ لِي، فَاسْتَهْدِنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. (٢) قَالَ ﷺ: لَا. قَالَ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَلَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُهُ حَتَّى قَالَ ﷺ لَهُ: أَهْدِ لَنَا نَاقَةً، وَلَا تَجْعَلْهَا وَلَهَا. (٣). (٤).

عَنِ الْأَرْقَطِ قَالَ قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُكُونَنَّ دَوَّارًا فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا تَلِي دَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ بِنَفْسِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ ذِي الْحَسَبِ وَالدِّينِ أَنْ يَلِي شِرَاءَ دَقَائِقِ

(١) الشيخ محمد السند في حوار أجرته معه مجلة الإصلاح الحسيني العدد الثاني ص ٣٦.

(٢) أي أقبل هديتي. [هامش المصدر]

(٣) أي لا يجعلها ناقة قطعت ولدها. يقال: ناقة واله ووله إذا اشتد وجدها على ولدها. [هامش المصدر]

(٤) الكافي للكليني ج ٥ ص ٣١٧ باب النوادر ح ٥٤.

الْأَشْيَاءِ بِنَفْسِهِ، مَا خَلَا ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ فَإِنَّهُ يَنْبَغِي لِذِي الدِّينِ وَالْحَسَبِ أَنْ يَلِيَهَا بِنَفْسِهِ: الْعَقَّارَ، وَالرَّقِيقَ، وَالْإِبِلَ»^(١).

ومن ذلك أيضاً ما روي عن عبد الله جبلة الكناني، قال: استقبلني أبو الحسن الإمام الكاظم (عليه السلام) وقد علقتُ سمكة في يدي، فقال: «أقذفها، إنني لأكره للرجل السري أن يحمل الشيء الدني بنفسه»، ثم قال: «إنكم قوم أعداؤكم كثيرة، عاداكم الخلق، يا معشر الشيعة إنكم قد عاداكم الخلق، فتزيتوا لهم بما قدرتم عليه»^(٢).

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهَبٍ قَالَ: رَأَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) وَأَنَا أَخْلُ بَقْلًا^(٣)، فَقَالَ (عليه السلام) «يُكْرَهُ لِلرَّجُلِ السَّرِيِّ أَنْ يَحْمِلَ الشَّيْءَ الدَّنِي؛ فَيَجْتَزَأَ عَلَيْهِ».

وَعَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ قَالَ: نَظَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، قَدْ اشْتَرَى لِعِيَالِهِ شَيْئاً وَهُوَ يَحْمِلُهُ، فَلَمَّا رَأَاهُ الرَّجُلُ اسْتَحْيَا مِنْهُ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): «اشْتَرَيْتَهُ لِعِيَالِكَ وَحَمَلْتَهُ إِلَيْهِمْ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ لَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَشْتَرِيَ لِعِيَالِي الشَّيْءَ ثُمَّ أَحْمِلَهُ إِلَيْهِمْ»^(٤).

«أراد (عليه السلام): لولا مخافة أن يعيبوه على ذلك لفعل مثل فعله، إلا أنه لما كان في زمان يعاب عليه بمثله لم يجز له أن يرتكبه، ولما لم يكن ذلك مما يعاب عليه في زمن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يرتكبه وكان ذلك منقبة له وتعليماً...»^(٥).

(١) الكافي للكليني ج ٥ ص ٩١ باب (٣) مُبَاشَرَةَ الْأَشْيَاءِ بِنَفْسِهِ ح ٢.

(٢) الكافي للشيخ الكليني (ج ٦ / ص ٤٨٠ / باب النوادر / ح ١٢).

(٣) والبقل: ما أنبتته الأرض من الخضر، والمراد به أطايبه التي تؤكل [تفسير كنز الدقائق الميرزا محمد المشهدي ج ١ ص ٢٥٩].

(٤) الكافي للكليني ج ٢ ص ١٢٣ باب التواضع ح ١٠.

(٥) جامع السعادات محمد مهدي النراقي ج ٢ ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

ومن هنا نعلم أنه من المناسب جداً أن يفوض الله تعالى بعض الأمور إلى بعض خلقه ممن يرتضيهم للقيام بأعمال ما، وهذا لا شرك فيه ولا مغالاة، ما دام الأمر بإذن الله تعالى، تماماً كما أذن الله تعالى للنبي عيسى (على نبينا وآله وعليه السلام) بإحياء الموتى، مع أن إحياءهم هو بيد الله تعالى وحده....

العوض السادس: شفاعت الشيعة الإمام الحسين عليه السلام.

مما أعطاه الله تعالى للإمام الحسين عليه السلام هو أن له شيعة يشفعون يوم القيامة فيشفعون... وموضوع الشفاعت من المواضيع الإسلامية والتربوية المهمة، وقد ذكرت النصوص الدينية الأدلة على إمكانها ووقوعها بلا أدنى شك عند المنصف، فلا داعي لسرد الأدلة هنا، ولنكتف ببعض الإشارات المتعلقة بالتعويض الإلهي للإمام الحسين عليه السلام.

الإشارة الأولى: موضع الحاجة إلى الشفاعت.

عادة ما تكون الحاجة إلى الشفاعت في حال خرق قانون معين، أو تجاوز حدود معينة، أو التقصير في أداء حق، من قبيل:

١/ وجود حق للآخر، وتقصير الآخر في أدائه، كما لو كنت مديوناً لأحدهم، وجاء موعد التسديد، ولم يكن عندي ما أسدّد حقه به، فأحتاج إلى شفيع ليؤخر لي موعد التسديد.

٢/ وجود حق للآخر، وعدم تمكّني من أدائه، فأحتاج إلى شفيع يسقط حق صاحب الحق عني، كما لو عجزت تماماً عن سداد الدين.

٣/ تجاوز حدود الأدب مع الآخر، فأحتاج إلى شفيع عند الآخر ليصفح عني بعد ندمي على ذلك.

وغير ذلك من الأمثلة.

وباختصار: أن الشفاعة تعني حاجة الفقير المحتاج أو المقصر إلى غيره الغني وصاحب الحق، واعترافه بأن له الحق، ولكنه يطلب التخفيف أو التجاوز، فيتوسل بشفيح ليكون واسطة بينه وبين صاحب الحق.

ولا شك أننا نعيش التقصير بكل أنواعه مع الله ربنا وخالقنا جل وعلا، فلا يمكن لأحد أن يدّعي أنه قام بما عليه بتهام معنى الكلمة تجاه الباري جل وعلا، مما يعني أننا على كل حال مقصرون بحقه جل وعلا، مما يجعلنا نبحث عن شفيح يساعدنا في تخفيف ما علينا من نتائج تقصيرنا معه جل وعلا.

بل إن الروايات تصرح بأن الناس عموماً يوم القيامة محتاجون إلى شفاعة النبي الأعظم ﷺ، وأن ما يقومون به من أعمال صالحة لا تغنيهم عن ذلك.

فقد روي عن عبيد بن زرارة قال: سئل أبو عبد الله ﷺ عن المؤمن هل له شفاعة؟ قال: نعم، فقال له رجل من القوم: هل يحتاج المؤمن إلى شفاعة محمد ﷺ يومئذ؟ قال: نعم، إن للمؤمنين خطايا وذنوباً، وما من أحد إلا ويحتاج إلى شفاعة محمد ﷺ يومئذ؟ قال: وسأله رجل عن قول رسول الله ﷺ: انا سيد ولد آدم ولا فخر، قال: نعم يأخذ حلقة باب الجنة فيفتحها فيخر ساجداً فيقول الله: ارفع رأسك اشفع تشفع، اطلب تعط، فيرفع رأسه ثم يخر ساجداً فيقول الله: ارفع رأسك اشفع تشفع واطلب تعط، ثم يرفع رأسه فيُشَفَّع ويُشَفَّع ويطلب فيعطى.^(١)

وما روي عن أبي العباس المكبر قال: دخل مولى لامرأة علي بن الحسين ﷺ على أبي جعفر ﷺ يقال له: أبو أيمن، فقال يا أبا جعفر يغرون الناس ويقولون (شفاعة محمد شفاعة محمد)؟!!

(١) تفسير العياشي لمحمد بن مسعود العياشي ج ٢ ص ٣١٤ ح ١٥٠.

فغضب أبو جعفر عليه السلام حتى تبرد وجهه ثم قال: ويحك يا أبا أيمن، أغرّك أن عَفَّ بطنك وفرجك! أما لو قد رأيت أفزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعَة محمد عليه السلام، وبلك، فهل يشفع إلا لمن وجبت له النار؟

ثم قال: ما أحد من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعَة محمد عليه السلام يوم القيامة.

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: إن لرسول الله صلى الله عليه وآله الشفاعَة في أمته، ولنا الشفاعَة في شيعتنا، ولشيعتنا الشفاعَة في أهاليهم.

ثم قال: وإن المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر، فإن المؤمن ليشفع حتى لخادمه، ويقول: يا رب حق خدمتي، كان يقيني الحر والبرد.^(١)

الإشارة الثانية: مؤهلات الشفيع.

إن الشفاعَة -بمعنى الوساطة في تسهيل أمر أو قضاء حاجة أو إسقاط حق وما شابه- لا تُقبل من أي أحد كما هو واضح من واقعنا المعاش، وإنما لا بد من توفر شروط معينة في الشفيع، حتى يكون مؤهلاً لقبول شفاعته عند صاحب الحق.

ولذا صرحت الروايات الشريفة بأن الشفعاء هم من أمثال الأنبياء والعلماء والمؤمنين، وليست الشفاعَة لكل من هبّ ودب.

وذكرت بعض الروايات الشريفة أن هناك من الأعمال الصالحة ما تكون شافعاً إلى الله تعالى.

فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ثلاثة يشفعون إلى الله عز وجل فيشفعون: الأنبياء، ثم

(١) تفسير القمي لعلي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ٢٠٢.

العلماء، ثم الشهداء»^(١).

وعن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام قالاً: «والله لنشفعن في المذنبين من شيعتنا حتى يقولوا أعداؤنا إذا رأوا ذلك ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾»^(٢) قال: من المهتدين، قال: لأن الايمان قد لزمهم بالإقرار»^(٣).

وعن النبي الأكرم صلوات الله عليه: «الشفعاء خمسة: القرآن، والرَّحم، والأمانة، ونبيكم، وأهل بيت نبيكم»^(٤).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «لَا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ»^(٥).

الإشارة الثالثة: استحباب الشفاعة الدنيوية.

عرفنا أن الشفاعة في الآخرة هي من الحاجة الضرورية إليها بمكان. هذا وقد أكّدت النصوص الدينية على أن الشفاعة في الدنيا - بنفس المعنى المتقدم - هي مما ينبغي للمؤمن أن يمارسها ما أوتي إلى ذلك سبيلاً، ومن تلك النصوص:

روي أنه قال رسول الله صلوات الله عليه: «أفضل الصدقة صدقة اللسان قيل: يا رسول الله وما صدقة اللسان؟ قال: الشفاعة تفك بها الأسير، وتحقن بها الدم، وتجرب بها المعروف إلى أخيك، وتدفع بها الكريمة»^(٦).

وعن رسول الله صلوات الله عليه: «من شفع شفاعة يدفع بها مغرمًا أو يحبي بها مغنماً، ثبت الله

(١) الخصال للشيخ الصدوق ص ١٥٦ ح ١٩٧.

(٢) الشعراء ١٠٠ - ١٠٢.

(٣) تفسير القمي - علي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ١٢٣.

(٤) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ١٤.

(٥) نهج البلاغة ج ٤ ص ٨٧ الحكمة (٣٧١).

(٦) عدة الداعي ونجاح الساعي لابن فهد الحلي ص ٦٢.

تعالى قدميه حين تدحض الأقدام»^(١).

وعنه عليه السلام: «أفضل الشفاعة: أن تشفع بين اثنين في النكاح»^(٢).

ومن النصوص اللطيفة في هذا المجال ما روي عن أبان الأحمر، عن الصادق أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، قال: «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله - وقد بُلي ثوبه -، فحمل إليه اثني عشر درهماً، فقال صلى الله عليه وآله: يا عليّ، خذ هذه الدراهم فاشتر لي بها ثوباً ألبس، قال عليّ عليه السلام: فجئت إلى السوق فاشتريت له قميصاً باثني عشر درهماً، وجئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فنظر إليه فقال: يا عليّ، غير هذا أحبُّ إليّ، أترى صاحبه يقلبنا؟ فقلت: لا أدري، فقال: انظر، فجئت إلى صاحبه فقلت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد كره هذا يريد غيره فأقلنا فيه، فردّ عليّ الدراهم، وجئت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فمشى معه إلى السوق ليبْتَاع قميصاً، فنظر إلى جارية قاعدة على الطريق تبكي، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: وما شأنك؟ قالت: يا رسول الله، إنّ أهلي أعطوني أربعة دراهم لأشتري لهم حاجة فضاعت، فلا أجسر أن أرجع إليهم، فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وآله أربعة دراهم، وقال: ارجعي إلى أهلك، ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى السوق فاشتري قميصاً بأربعة دراهم، ولبسه وحمد الله تعالى، فرأى رجلاً عربياً يقول: من كساني كساه الله من ثياب الجنة، فخلع رسول الله صلى الله عليه وآله قميصه الذي اشتراه وكساه السائل، ثم رجع صلى الله عليه وآله إلى السوق فاشتري بالأربعة التي بقيت قميصاً آخر، فلبسه وحمد الله تعالى، ورجع إلى منزله فإذا الجارية قاعدة على الطريق تبكي، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: ما لك لا تأتين أهلك؟ قالت: يا رسول الله، إنّني قد أبطأت عليهم أخاف أن يضربوني، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: مري بين يدي ودليني على أهلك، وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى وقف على باب دارهم، ثم قال: السلام عليكم يا

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ج ٣ ص ٢٧٠ ح ٦٤٩٦.

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي ج ٣ ص ٢٦٨ ح ٦٤٩٢.

أهل الدار، فلم يُحيبوه، فأعاد السلام فلم يُحيبوه، فأعاد السلام فقالوا: وعليكم السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال عليه الصلاة والسلام: ما لكم تركتم إجابتي في أوّل السلام والثاني؟ فقالوا: يا رسول الله، سمعنا كلامك فأحببنا أن نستكثر منه، فقال رسول الله ﷺ: إنّ هذه الجارية أبطأت عليكم فلا تؤذوها، فقالوا: يا رسول الله، هي حرّة لمشاك، فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله، ما رأيت اثني عشر درهماً أعظم بركةً من هذه، كسا الله بها عارين، وأعتق نسمة^(١).

الإشارة الرابعة: هل الشفاعة الأخروية تشجع على الذنب؟

قد يخطر إلى الذهن: أن هذا المعنى من الشفاعة يستلزم عدة محاذير، وأهمها: أن معرفة المذنب بالشفاعة يعني تغريره بالمعصية اعتماداً على الشفاعة، وبالتالي سيتجرأ الكثير من الناس على تقحّم المعصية اعتماداً عليها، هذا فضلاً عن أنه خلاف العدل الإلهي حيث يسمح بالشفاعة للبعض دون غيرهم.

والجواب:

أولاً: لو ضمن جميع المذنبين شمولهم بالشفاعة من دون أي شرط ولا قيد، بحيث إن كل مذنب فهو يدخل تحت دائرة الشفاعة وبضمان تام، فيمكن أن يكون لهذا التساؤل معنى، أما وقد دلت النصوص على أن الشفاعة ليست مطلقة، وليست متاحة للجميع، وإنما هناك شروط لا بد أن يتوفر عليها الفرد ليكون ضمن نطاق الشفاعة، فلا معنى لهذا السؤال.

وهذا يعني: أن على الفرد أن يتوفر على الشروط الخاصة بالشفاعة، ليكون مؤهلاً لنيلها، وتلك الشروط لو اطلعنا عليها لوجدناها تشترط عدة شروط لها،

(١) الخصال للصدوق: ٤٩٠ و ٤٩١ / ح ٦٩.

وخلصتها^(١):

- عدم الإشرَاك بالله تعالى.

- الإخلاص في الشهادة بالتوحيد، قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً، يُصدّق لسانه قلبه»^(٢).

- عدم كونه ناصبياً، قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ المؤمنَ ليشفعَ لحميمه إلا أن يكون ناصباً، ولو أنَّ ناصباً شفعَ له كلُّ نبيٍّ مرسلٍ وملكٍ مقربٍ ما شُفِّعوا»^(٣).

- عدم الاستخفاف بالصلاة، فعن أبي بصير، قال: قال أبو الحسن الأول عليه السلام: «إنَّه لَمَّا حضر أبي الوفاة قال لي: يا بني، إنَّه لا ينال شفاعتنا من استخفَّ بالصلاة»^(٤).

- عدم التكذيب بشفاعة النبي ﷺ: قال الإمام عليُّ بن موسى الرضا عليه السلام: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: من كذب بشفاعة رسول الله لم تنله»^(٥).

إن الالتزام بهذه الشروط يتنافى مع كون الشفاعَة تدفع إلى الجرأة على الذنوب، بل على العكس، هي تدفع الفرد إلى أن يلتزم بالأحكام الشرعية بشروطها التي ذكرتها هذه النصوص.

وبهذا يتبين: أن شمول الشفاعَة لمن التزم بهذه الشروط دون غير الملتزم بها، هو عين العدالة ووضعُ الشيء في موضعه، ولا ظلم ولا تجاوز فيها.

(١) انظر: محاضرات في الإلهيات للشيخ جعفر السبحاني: ٤٦٧ و ٤٦٨.

(٢) علل الدارقطني ٩: ٤٥.

(٣) المحاسن للبرقي ١: ١٨٦ / ح ١٩٨.

(٤) الكافي للكليني ٣: ٢٧٠ / باب من حافظ على صلاته أو ضيعها / ح ١٥.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق ١: ٧١ / ح ٢٩٢.

ثانياً: إن هذه الشروط التي ذكرت في الجواب الأول، ليست على نحو العلة التامة للحصول على الشفاعة، بل هي على نحو المقتضي، مما يعني احتمال عدم نيل الشفاعة للفرد رغم أنه التزم بتلك الشروط، بسبب مانع من الموانع.

وبعبارة أخرى: أن الشفاعة ليست أمراً يستحقه الفرد، حتى إذا لم تشمله كان له الحق بالاعتراض، كلا، بل هي أمر تفضلي من الله تبارك وتعالى، فإن شملت المذنب فهو تفضل من الله تبارك وتعالى، وإلا، فلا يستحق المذنب شيئاً، بل هو يأخذ استحقاقه من العقوبة الإلهية من دون ظلم ولا تجاوز.

فحتى لو توفر الفرد على تلك الشروط، فلا ضمان تماماً بالدخول تحت مظلة الشفاعة، مما يعني بقاء الفرد المذنب داخل دائرة استحقاق العقوبة.

فأين التعبير بالمعصية؟ وأين دفعه نحو الجرأة على الذنب؟

ثالثاً: لو فرضنا أن الفرد المذنب ضمن الشفاعة (وهذا أمر غير ممكن لعدم اطلاعنا على حقيقة الحال في ذلك)، فإن الشفاعة الكبرى إنما تقع في الآخرة، وبالتالي، فهي تنفي عقوبة الآخرة، لكن يبقى البرزخ الذي هو أيضاً محكمة إلهية، والقبر الذي هو إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران، فالعقوبة محتملة جداً فيه، وبالتالي، فإن هذا الأمر يدفع الفرد إلى التوبة والأوبة قبل الموت، حتى لا يواجه العقوبة البرزخية.

والحاصل: «أن الإنسان قبل أن يصل إلى القيامة والشفاعة الموعودة، سيبقى لمدة مديدة في عالم البرزخ ويتكبد أنواع العذاب ولن تنفعه الشفاعة الموعودة، إذًا، أمام الإنسان المجرم في العالم الآخر أنواع العذاب التي تنتظره بعد موته مباشرة، ووجود هكذا وضع يمنع الإنسان من التجري على الذنب بذريعة الشفاعة»^(١).

(١) أجوبة الشبهات العقائدية (المعاد) ج ٥ ص ٣١٦.

ومن هنا، وردت بعض الروايات التي تصرح بأن على المؤمن أن يخاف من عذاب البرزخ، حتى لو ضمن الشفاعة في الآخرة، فقد روي عَنْ عَمْرِو بْنِ يَزِيدَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «إِنِّي سَمِعْتُكَ وَأَنْتَ تَقُولُ: كُلُّ شَيْعَتِنَا فِي الْجَنَّةِ عَلَى مَا كَانَ فِيهِمْ.

قَالَ عليه السلام: صَدَقْتُكَ، كُلُّهُمْ وَاللَّهِ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنَّ الدُّنُوبَ كَثِيرَةٌ كِبَارٌ؟ فَقَالَ: أَمَّا فِي الْقِيَامَةِ فَكُلُّكُمْ فِي الْجَنَّةِ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ الْمُطَاعِ أَوْ وَصِيِّ النَّبِيِّ، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ فِي الْبَرْزَخِ. قُلْتُ: وَمَا الْبَرْزَخُ؟ قَالَ: الْقَبْرُ مُنْذُ حِينَ مَوْتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

مع الالتفات إلى أمر مهم جداً، وهو:

أن ما ذكرناه في (ثالثاً) لا يعني أبداً أن الشفاعة لا يمكن أن تنال العبد المؤمن في البرزخ والقبر، كلا، بل إن بعض الروايات دلت على أن عمل العبد ينفعه في قبره، وهو نوع من الشفاعة، ولنسمها شفاعَة الأعمال الصالحة، بل ورد أن ولاية أهل البيت عليهم السلام تنفع كثيراً فيه، ولكن كل ذلك لا يدفع نحو ترك العمل في الدنيا، لأنه يبقى أمراً غير جزمي، وعلى العبد أن يزيد من أعماله الصالحة والتزامه بالدين ليفسح لنفسه المجال ليلج نعمة الشفاعة.

ومن تلك الروايات ما روي عن أبي بصير، عن أحدهما عليه السلام قال: «إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ دَخَلَ مَعَهُ فِي قَبْرِهِ سِتَّةُ صُورٍ، فِيهِنَّ صُورَةٌ هِيَ أَحْسَنُهُنَّ وَجْهًا، وَأَبْهَاهُنَّ هَيْئَةً، وَأَطْيَبُهُنَّ رِيحًا، وَأَنْظَفُهُنَّ صُورَةً، قَالَ: فَيَقِفُ صُورَةٌ عَنْ يَمِينِهِ، وَأُخْرَى عَنْ يَسَارِهِ، وَأُخْرَى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأُخْرَى خَلْفَهُ، وَأُخْرَى عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَيَقِفُ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُهُنَّ فَوْقَ رَأْسِهِ، فَإِنْ أَتَى عَنْ يَمِينِهِ، مَنَعَتْهُ الَّتِي عَنْ يَمِينِهِ، ثُمَّ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ مِنَ الْجِهَاتِ السَّتِ

(١) محمد بن يعقوب الكليني، الكافي: ج ٣ ص ٢٤٢ بَابُ مَا يَنْطِقُ بِهِ مَوْضِعُ الْقَبْرِ ح ٣.

قال: فتقول أحسنهن صورة: من أنتم جزاكم الله عني خيراً؟ فتقول التي عن يمين العبد: أنا الصلاة، وتقول التي عن يساره: أنا الزكاة، وتقول التي بين يديه: أنا الصيام، وتقول التي خلفه: أنا الحج والعمرة، وتقول التي عند رجله: أنا بر من وصلت من إخوانك، ثم يقلن: من أنت؟ فأنت أحسننا وجهاً، وأطيبنا ريحاً، وأبهانا هيئة، فتقول: أنا الولاية لآل محمد (صلوات الله عليه وعليهم)»^(١).

رابعاً: فضلاً عن كل ما تقدم، فإن من المتفق عليه، والمنصوص عليه، أن الله تعالى رحيم، وأن رحمته وسعت كل شيء، وأنها سبقت غضبه، وأن الله تعالى ينشر رحمته يوم القيامة حتى إن إبليس ليطمع فيها، فلماذا لم يستشكل البعض على سعة هذه الرحمة ولم يقل: إنها تغرر بالعبد ليفعل المعصية؟

فقد روي عن إبراهيم بن زياد الكرخي، قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة نشر الله تبارك وتعالى رحمته حتى يطمع إبليس في رحمته»^(٢).

وعن الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: «قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة تجلي الله ﻋﻠﻴﻪ لعبده المؤمن فيوقفه على ذنوبه ذنباً ذنباً، ثم يغفر الله له لا يطلع الله على ذلك ملكاً مقرباً ولا نبيّاً مرسلًا، ويستر عليه ما يكره أن يقف عليه أحد، ثم يقول لسيئاته: كوني حسنات»^(٣).

فما أجاب به المستشكل عن سعة الرحمة الإلهية، فنحن نجيب به عن الإشكال في موردنا.

(١) المحاسن للبرقي ج ١ ص ٢٨٨ ب ٤٧ باب الشرائع ح ٤٣٢

(٢) أمالي الصدوق: ٢٧٣ و ٢٧٤ / ح (٢/٣٠١).

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق ١: ٣٦ / ح ٥٧.

الإشارة الخامسة: ثمرات الإيمان بالشفاعة.

لا يعني ما ذكرناه من أجوبة أن الشفاعة لا نفع فيها ولا ثمرة ولا أثر في هذه الحياة، بل على العكس، إن فيها العديد من الثمرات، نذكر ثمرتين منها:

الثمرة الأولى:

أنها تفتح باب الأمل أمام المذنبين بأن يعملوا على تصحيح أخطائهم بما استطاعوا، وأنهم بسعيهم هذا يقتربون من الدخول تحت الشفاعة، إذ من الواضح أن المذنب لو علم بأنه سستم معاقبته جزماً، وأنه لن ينفعه ما يعمل من الصالحات -مهما كان- في تخليصه من العقوبة، فإن هذا يؤدي به إلى اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى.

أما لو علم أن باب التوبة مفتوح، وأن الشفاعة يمكن -لاحظ: يمكن وليس جزماً- أن تناله ويتخلص من عقوبة الذنوب، فإنه سيعمل جاهداً على التصحيح، وعلى أن يبقى متعلقاً بالعطف الإلهي والرحمة الإلهية، وهذا أمر مهم جداً في دفع الفرد نحو الرجوع إلى ساحة القدس، والابتعاد على مواطن الرذيلة والذنوب.

الثمرة الثانية:

لا شك أن الشفعاء هم مخلوقات مختارة من الله تبارك وتعالى، وهم على درجة عالية من الكمال والقرب الإلهي، قال تعالى ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾^(١).

وقال تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾^(٢).

وبالتالي، فمن أراد الحصول على الشفاعة، فعليه أن يعمل على أن يتقرب من أولئك

(١) مريم ٨٧.

(٢) طه ١٠٩.

الشفعاء، مما يعني أن الفرد سيعمل على أن يربي نفسه ليكون عند حسن ظن أولئك الشفعاء، الأمر الذي يصب في صلاحه بلا أدنى شك.

الإشارة السادسة: شفاعت شيعت الإمام الحسين (عليه السلام).

أشارت بعض الروايات الشريفة أن من التعويضات التي وهبها الله تعالى للإمام الحسين (عليه السلام) من قتله هو أن لشيعته وزواره مقام الشفاعت يوم القيامة، منه من الله تعالى لهم.

فعن أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «كان النبي (صلى الله عليه وآله) في بيت أم سلمة (رضي الله عنه)، فقال لها: لا يدخل علي أحد. فجاء الحسين (عليه السلام) وهو طفل، فما ملكت معه شيئاً حتى دخل على النبي (صلى الله عليه وآله)، فدخلت أم سلمة على أثره، فإذا الحسين على صدره، وإذا النبي (صلى الله عليه وآله) يبكي، وإذا في يده شيء يقلبه، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): يا أم سلمة، إن هذا جبرئيل يخبرني أن هذا مقتول، وهذه التربة التي يقتل عليها، فضعيها عندك، فإذا صارت دماً فقد قتل حبيبي، فقالت أم سلمة: يا رسول الله، سل الله أن يدفع ذلك عنه. قال: قد فعلت، فأوحى الله (صلى الله عليه وآله) إلي: أن له درجة لا يناها أحد من المخلوقين، وأن له شيعت يشفعون فيشفعون، وأن المهدي من ولده، فطوبى لمن كان من أولياء الحسين، وشيعته هم والله الفائزون يوم القيامة...»^(١).

وروي عن أحدهما [الباقر أو الصادق (عليه السلام)] أنه قال: «يا زرارة، ما في الأرض مؤمنة إلا وقد وجب عليها أن تسعد فاطمة (صلى الله عليها) في زيارة الحسين (عليه السلام)». ^(٢)
وعن سيف التمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «سمعت يقول: زائر الحسين (عليه السلام) مشفع يوم القيامة لمائة رجل كلهم قد وجبت لهم النار ممن كان في الدنيا من المسرفين». ^(٣)

(١) الأمالي الشيخ الصدوق ص ٢٠٣ ح ٢١٩ / ٣.

(٢) الأصول الستة عشر - عدة محدثين ص ١٢٣.

(٣) كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص ٣٠٩ باب ٦٨ ح [٥٢٣] ٢.

العوض السابع : طوبى لمن كان من أولياء الإمام الحسين عليه السلام

قال رسول الله الأعظم ﷺ: «... فطوبى لمن كان من أولياء الحسين، وشيعته هم والله الفائزون يوم القيامة...»^(١)

من التعويضات الإلهية التي تُفهم من هذا النص، هو أن الله تعالى جعل لشيعته وأولياء الإمام الحسين ﷺ تعويضاً آخرى - غير الشفاعة - وهو أن لهم طوبى، وأنهم الفائزون يوم القيامة.

وحتى تتضح الصورة، نبين أمرين:

الأمر الأول : ما هو معنى طوبى؟

جاء ذكر (طوبى) في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾^(٢).

وقد ذكر بعض المفسرين^(٣) عدة معاني لكلمة (طوبى)، خلاصتها:

فرح لهم، وقرّة عين / غبطة لهم / خير لهم وكرامة / الجنة لهم / العيش المطيب لهم /
الحال المستطابة لهم / أطيب الأشياء لهم وهو الجنة / هنيئاً بطيب العيش لهم / حسنى لهم / نعم ما لهم / دوام الخير لهم.

(١) الأماي للشيخ الصدوق ص ٢٠٣ ح ٢١٩ / ٣.

(٢) الرعد ٢٩.

(٣) تفسير مجمع البيان الشيخ الطبرسي ج ٦ ص ٣٧ - ٣٨.

وقد استظهر صاحب تفسير الأمل أن هذه المعاني هي تطبيقات لكبرى كلية هي:
العيشة الراضية والحياة الرغيدة.^(١)

هذا وقد جاء ذكر طوبى في الروايات الشريفة على أنها شجرة في الجنة، أصلها في دار النبي ﷺ، وفي دار كل مؤمن منها غصن، وأنها أيضاً في بيت أمير المؤمنين (عليه السلام)، حيث إن بيته هو بيت الرسول الأعظم ﷺ، وأيضاً روي أنها الشجرة التي كان يشم النبي ﷺ رائحتها من السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام).

فقد روي عن أبي جعفر (عليه السلام): «وطوبى شجرة في الجنة أصلها في دار رسول الله ﷺ، فليس من مؤمن إلا وفي داره غصن من أغصانها، لا ينوي في قلبه شيئاً إلا أتاه ذلك الغصن به، ولو أن راكباً مُجَدَّ سار في ظلها مائة عام لم يخرج منها، ولو أن غراباً طار من أصلها ما بلغ أعلاها حتى يبيض هراً. ألا ففي هذا فارغبوا، إن المؤمن من نفسه في شغل والناس منه في راحة، إذا جن عليه الليل فرش وجهه وسجد لله تعالى ذكره بمكارم بدنه، ويناجي الذي خلقه في فكاك رقبتة، ألا فهكذا فكونوا».^(٢)

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): «كان رسول الله ﷺ يكثر تقبيل فاطمة (عليها السلام)، فأنكرت عليه بعض نسائه ذلك، فقال ﷺ: إنه لما أسري بي إلى السماء، دخلت الجنة وأداني جبرائيل (عليه السلام) من شجرة طوبى، وناولني منها تفاحة، فأكلتها، فحول الله ذلك في ظهري ماء، فهبطت

(١) قال في تفسيره الأمل ج ٧ ص ٤٠٦ و ٤٠٧ ما نصه: كثير من المفسرين قالوا: إن كلمة (طوبى) مؤنث (أطيب)، وبما أن المتعلق محذوف فإن للكلمة مفهوماً واسعاً وغير محدود، ونتيجة طوبى لهم هو أن تكون لهم أفضل الأشياء: أفضل الحياة والمعيشة، وأفضل النعم والراحة، وأفضل الألطاف الإلهية، وكل ذلك نتيجة الإيمان والعمل الصالح لأولئك الراسخين في عقيدتهم والمخلصين في عملهم.

وما ذكره جمع من المفسرين في معنى هذه الكلمة وأوصلها صاحب مجمع البيان إلى عشرة معاني، فإنها في الحقيقة تصب كلها في هذا المعنى الواسع والشامل الذي ذكرناه.

(٢) الخصال للشيخ الصدوق ص ٤٨٣ و ٤٨٤ ح ٥٦.

إلى الأرض، وواقعت خديجة، فحملت بفاطمة، فكلما اشتقت إلى الجنة قبلتها، وما قبلتها إلا وجدت رائحة شجرة طوبى، فهي حوراء إنسية.^(١)

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «سئل النبي صلى الله عليه وآله عن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾.^(٢) قال: نزلت في علي بن أبي طالب، وطوبى شجرة أصلها في دار علي في الجنة، وليس من الجنة شيء إلا وهو فيها... وفي دار كل مؤمن منها غصن... وعن موسى بن جعفر عليه السلام قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله عن طوبى، فقال: شجرة في الجنة أصلها في داري وفرعها على أهل الجنة. ثم سأله عنها ثانية فقال: شجرة أصلها في دار علي وفرعها على أهل الجنة. ف قيل له في ذلك، فقال: إن داري ودار علي غدا واحدة.^(٣)

الأمر الثاني: لمن تكون (طوبى)؟

من خلال تفسير قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾.^(٤) وتتبع الروايات التي ذكرت (طوبى) يمكن أن نقول: إنها تكون لعدة أصناف، وهم:

الصنف الأول: المؤمنون العاملون صالحاً.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾.^(٥)

(١) تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي ج ٦ ص ٣٧.

(٢) الرعد ٢٩.

(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٢.

(٤) الرعد ٢٩.

(٥) الرعد ٢٩.

الصنف الثاني: المنتظرون للإمام المهدي عليه السلام الثابتون على الحق.

دلت على ذلك نصوص عديدة، من قبيل:

عن أبي بصير، قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: «طوبى لمن تمسك بأمرنا في غيبة قائمنا فلم يزغ قلبه بعد الهداية...»^(١).

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «طوبى لشيعتنا، المتمسكين بحبلنا في غيبة قائمنا، الثابتين على موالاتنا والبراءة من أعدائنا، أولئك منا ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمة، ورضينا بهم شيعة، فطوبى لهم، ثم طوبى لهم، وهم والله معنا في درجاتنا يوم القيامة»^(٢).

عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم، فيا طوبى للثابتين على أمرنا في ذلك الزمان، إن أدنى ما يكون لهم من الثواب أن يناديهم البارئ عليه السلام فيقول: عبادي وإمائي! آمتم بسرّي وصدّقتم بغيي، فأبشروا بحسن الثواب منّي، فأنتم عبادي وإمائي حقاً، منكم أتقبل، وعنكم أعفو، ولكم أغفر، وبكم أسقي عبادي الغيث، وأدفع عنهم البلاء، ولولاكم لأنزلت عليهم عذابي»، قال جابر: فقلت: يا ابن رسول الله، فما أفضل ما يستعمله المؤمن في ذلك الزمان؟ قال: «حفظ اللسان، ولزوم البيت»^(٣).

عن جابر الأنصاري، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «يغيب عنهم الحجة، لا يُسمّى حتى يُظهِره الله، فإذا عجل الله خروجه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»، ثم قال عليه السلام: «طوبى للصابرين في غيبته، طوبى للمقيمين على محبتهم، أولئك وصفهم الله في كتابه فقال: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، وقال: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ

(١) كمال الدين: ٣٥٨ / باب ٣٣ / ح ٥٥.

(٢) كمال الدين: ٣٦١ / باب ٣٤ / ح ٥.

(٣) كمال الدين: ٣٣٠ / باب ٣٢ / ح ١٥.

المُفْلِحُونَ ﴿[المجادلة: ٢٢]﴾^(١).

الصنف الثالث: من يدرك الإمام المهدي ﷺ وهو مقتد به قبل قيامه.

عن سدير، عن أبي عبد الله ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو مقتد به قبل قيامه، يأتّم به وبأئمة الهدى من قبله، ويرى إلى الله ﷻ من عدوّهم، أولئك رفقائي وأكرم أمتي عليّ»^(٢).

الصنف الرابع: المخلصون.

عن رسول الله ﷺ: «طوبى للمخلصين، أولئك مصابيح الهدى تتجلّى عنهم كلّ فتنة ظلماء»^(٣).

الصنف الخامس: المنكسرة قلوبهم من خشية الله تعالى.

روي عن أمير المؤمنين ﷺ: «طوبى للمنكسرة قلوبهم من أجل الله»^(٤).

الصنف السادس: أولياء الإمام الحسين ﷺ.

قال رسول الله الأعظم ﷺ: «... فطوبى لمن كان من أولياء الحسين، وشيعته هم والله الفائزون يوم القيامة...»^(٥).

تنبيه مهم:

علينا أن نبحث جيداً عن الطريقة التي تجعلنا من أولياء الإمام الحسين ﷺ، ولقد

(١) بحار الأنوار ٥٢: ١٤٣ / ح ٦٠.

(٢) كمال الدين: ٢٨٦ و ٢٨٧ / باب ٢٥ / ح ٣.

(٣) شعب الإيمان للبيهقي ٥: ٣٤٣ / ح ٦٨٦١.

(٤) عيون الحُكَم والمواظع لعليّ بن محمّد الليثي الواسطي (ص ٣١٣).

(٥) الأمالي الشيخ الصدوق ص ٢٠٣ ح ٢١٩ / ٣.

بين أهل البيت عليهم السلام معنى أوليائهم، فقال الإمام الصادق عليه السلام واصفاً أوليائهم: «إن ولينا الموالي لأوليائنا المعادي لأعدائنا»^(١).

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ... «إِنَّ عَبْدًا لَنْ يُقَصِّرَ فِي حُبِّنا لَخَيْرِ جَعَلَهُ الله في قلبه، وَلَنْ يَحْبِنَّا مِنْ يَحِبُّ مِبْغَضَنَا، إِنْ ذَلِكَ لَا يَجْتَمِعُ فِي قَلْبٍ وَاحِدٍ ﴿وَمَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب ٤] يَحِبُّ هَذَا قَوْمًا، وَيَحِبُّ بِالْآخِرِ عَدُوَّهُمْ، وَالَّذِي يَحْبِنَا فَهُوَ يَخْلُصُ حُبَّنَا كَمَا يَخْلُصُ الذَّهَبُ لَا غَشَّ فِيهِ. نَحْنُ النُّجَبَاءُ وَأَفْرَاطُنَا أَفْرَاطُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنَا وَصِي الْأَوْصِيَاءِ، وَأَنَا حِزْبُ اللهِ وَرَسُولُهُ عليه السلام، وَالْفِتْنَةُ الْبَاغِيَةُ حِزْبُ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ حَالَهُ فِي حُبِّنا فَلِيَمْتَحِنْ قَلْبَهُ، فَإِنْ وَجَدَ فِيهِ حُبٌّ مِنْ أَلْبٍ عَلَيْنَا فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَدُوُّهُ وَجَبْرِئِيلُ وَمِيكَائِيلُ، وَاللهُ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ»^(٢).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَإِنَّ مَنْ تَعَوَّذَ بِاللَّهِ مِنْهُ أَعَاذَهُ اللهُ، [وَتَعَوَّذُوا] مِنْ هَمَزَاتِهِ وَنَفَخَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ، أَتَدْرُونَ مَا هِيَ؟ أَمَّا هَمَزَاتُهُ فَمَا يَلْقِيهِ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ بَغْضَانَا أَهْلَ الْبَيْتِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَكَيْفَ نَبْغُضُكُمْ بَعْدَ مَا عَرَفْنَا مُحَلِّكُمْ مِنَ اللهِ وَمَنْزِلَتَكُمْ؟! قَالَ صلى الله عليه وآله: بَأَنْ تَبْغُضُوا أَوْلِيَاءَنَا، وَتَحْبُوا أَعْدَاءَنَا، فَاسْتَعِذُوا بِاللَّهِ مِنْ مَحَبَّةِ أَعْدَائِنَا، وَعَدَاوَةِ أَوْلِيَائِنَا، فَتَعَاذُوا مِنْ بَغْضَانَا وَعَدَاوَتِنَا، فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ أَعْدَاءَنَا فَقَدْ عَادَانَا، وَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ بَرِيءٌ»^(٣).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ شَكَّ فِي كُفْرِ أَعْدَائِنَا وَالظَّالِمِينَ لَنَا فَهُوَ كَافِرٌ»^(٤).

وروي أنّ رجلاً قدم على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، أنا أحببك وأحب

(١) الاحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ١٣١.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي (ص ١٤٨ - ١٤٩ ح ٢٤٣ / ٥٦)

(٣) التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام - (ص ٥٨٤ ح ٣٤٧).

(٤) الاعتقادات في دين الإمامية للشيخ الصدوق ص ١٠٤.

فلاناً، وسمّى بعض أعدائه، فقال ﷺ: «أما الآن فأنت أعور، فإما أن تعمى وإما أن تبصر». (١)

وقيل للإمام الصادق ﷺ: «إن فلاناً يواليكم إلا أنه يضعف عن البراءة من عدوكم، فقال: هيهات، كذب من ادعى محبتنا ولم يتبرأ من عدونا». (٢)

كل ذلك تطبيق لقوله تعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (٣)

(١) مستطرفات السرائر لابن إدريس الحلي ص ٢٦٥.

(٢) مستطرفات السرائر لابن إدريس الحلي ص ٢٦٦.

(٣) المجادلة: ٢٢.

العوض الثامن: درجة الإمام الحسين عليه السلام في الجنة.

يظهر من بعض الروايات الشريفة أن مما عوضه الله تعالى للإمام الحسين عليه السلام من قتله أن له درجة في الجنة، عبرت عنها بعض الروايات بأنها درجة لا ينالها أحد من المخلوقين، وفي بعضها أن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن لينالها إلا بالشهادة، فقد جاء في الرواية عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام، أن الإمام الحسين عليه السلام ... «... راح ليودع القبر، فقام يصلي فأطال، فنعس وهو ساجد، فجاءه النبي صلى الله عليه وآله وهو في منامه، فأخذ الحسين عليه السلام وضمه إلى صدره، وجعل يقبل بين عينيه، ويقول: بأبي أنت، كأني أراك مرملاً بدمك بين عصابة من هذه الأمة، يرجون شفاعتي، ما لهم عند الله من خلاق، يا بني إنك قادم على أبيك وأمك وأخيك، وهم مشتاقون إليك، وإن لك في الجنة درجات لا تنالها إلا بالشهادة»^(١).

وعن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «كان النبي صلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة (رضي الله عنها)، فقال لها: لا يدخل علي أحد. فجاء الحسين عليه السلام وهو طفل، فما ملكت معه شيئاً حتى دخل على النبي صلى الله عليه وآله، فدخلت أم سلمة على أثره، فإذا الحسين على صدره، وإذا النبي صلى الله عليه وآله يبكي، وإذا في يده شيء يقلبه، فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا أم سلمة، إن هذا جبرئيل يخبرني أن هذا مقتول، وهذه التربة التي يقتل عليها، فضعيها عندك، فإذا صارت دماً فقد قتل حببي، فقالت أم سلمة: يا رسول الله، سل الله أن يدفع ذلك عنه. قال: قد فعلت، فأوحى الله ﷻ إلي: أن له درجة لا ينالها أحد من المخلوقين، وأن له شيعة يشفعون

(١) الأماشي للشيخ الصدوق ص ٢١٧.

فيشفعون، وأن المهدي من ولده، فطوبى لمن كان من أولياء الحسين، وشيعته هم والله الفائزون يوم القيامة...»^(١).

وعن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر وجعفر بن محمد عليهما السلام يقولان: «أن الله (تعالى) عوض الحسين عليه السلام من قتله أن جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعا عند قبره، ولا تعد أيام زائريه جائئاً وراجعاً من عمره».

قال محمد بن مسلم: فقلت لأبي عبد الله عليه السلام: هذا الجلال ينال بالحسين عليه السلام فما له في نفسه؟ قال: «إن الله (تعالى) ألحقه بالنبي صلى الله عليه وآله فكان معه في درجته ومنزلته، ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ حَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» [الطور ٢٠].»^(٢)

وحتى تتضح المسألة نذكر عدة أمور:

الأمر الأول: التكامل اللا متناهي.

إن مشروع الإنسان في هذه الحياة هو التكامل، على اختلاف في النظرة إلى حقيقة التكامل، وأن المقصود منه هو التكامل الدنيوي فقط - كما تذهب إليه الحضارة المادية - أو الآخروي فقط - كما تذهب إليه الرهبانية - أو الدنيوي والآخروي - كما هي نظرية الإسلام -.

إن النصوص الدينية تؤكد أن التكامل - كل التكامل - هو ما كان يعمل على إشباع كلا جانبي الإنسان: المادي والمعنوي، وعلى تحصيل كلا السعادتين: الدنيوية والآخروية، وإن كانت الدنيا في الغالب لا تُسالم الإنسان ولا تهدأ دون رميهِ بالمصائب والصعاب والشدائد، لكن على كل حال، فإن الدين لا يرضى بأن يهلك المؤمن نفسه في

(١) الأُمالي الشيخ الصدوق ص ٢٠٣ ح ٢١٩ / ٣.

(٢) الأُمالي للشيخ الطوسي ص ٣١٧ ح ٦٤٤ / ٩١.

الدنيا ويتخلّى عن لذائذها المحللة.

ومن تلك النصوص الدالة على هذا الأمر هو ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١]، قال: «رضوان الله والجنة في الآخرة، والسعة في الرزق والمعاش وحسن الخلق في الدنيا»^(١).

وقال عليه السلام: «نعم العون الدنيا على الآخرة»^(٢).

وقال عليه السلام: «ليس منّا من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه»^(٣).

وروي عن العالم [الإمام الكاظم عليه السلام] أنّه قال: «اعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً»^(٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نعم العون على تقوى الله الغنى»^(٥).

إذا تبين هذا، ننبه على التالي:

أولاً: أن طريق التكامل يعني أن يقصد العبد الوصول إلى ربه جل وعلا، أي إن العبد في هذه الدنيا يعيش النقص، هو يلبس ثوباً ممزقاً، والتكامل في حقيقته عبارة عن ترقيع ذلك الثوب المهترئ، فكلما حصل العبد على نوع من التكامل، كلما سدّ نقصاً من نقوصاته، وحيث إن الباري جل وعلا غير متناهي في ذاته وفي كمالاته، فالطريق إليه إذن غير متناهي، مما يعني أن من الخطأ أن يتوقف العبد عند درجة كمالية معينة ويقول: قد اكتفيت.

(١) من لا يحضره الفقيه للصدوق ٣: ١٥٦ / ح ٣٥٦٦.

(٢) الكافي للكليني ٥: ٧٢ / باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة / ح ٨.

(٣) من لا يحضره الفقيه للصدوق ٣: ١٥٦ / ح ٣٥٦٨.

(٤) من لا يحضره الفقيه للصدوق ٣: ١٥٦ / ح ٣٥٦٩.

(٥) الكافي للكليني ٥: ٧١ / باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة / ح ١.

وهذا حبينا رسول الله الأعظم ﷺ يُجهد نفسه بالعبادة وهو هو الذي غفر الله تعالى له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو سيد الكونين.

روي عن أبي بصير، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «كان رسول الله ﷺ عند عائشة ليلتها، فقالت: يا رسول الله، لِمَ تُتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: يا عائشة ألا أكون عبداً شكوراً؟»، قال: «وكان رسول الله ﷺ يقوم على أطراف أصابع رجله، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿طه﴾ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى»^(١).^(٢)

ثانياً: وتطبيقاً لهذه الفكرة من عدم تناهي التكامل، نجد أن الروايات أشارت إلى إمكانية استمرار المؤمن بالتكامل ولو بعد موته، من خلال تركه لبعض الأعمال التي لها قابلية الاستمرار بإنتاج الحسنات، وذلك فيما روي عن رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: علم يُنتفع به، أو صدقة تُجرى له، أو ولد صالح يدعو له»^(٣).

وعن ميمون القداح، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «أيما عبد من عباد الله سنَّ سُنَّةً هدى كان له أجر مثل أجر من عمل بذلك من غير أن ينقص من أجورهم شيء، وأيما عبد من عباد الله سنَّ سُنَّةً ضلال كان عليه مثل وزر من فعل ذلك من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»^(٤).

ثالثاً: في كل ذلك، فإن المسألة تابعة لإرادة الإنسان، فيإمكانه أن يُشمر عن ساعد الجد ويحصل على درجات كمالية عالية، وإمكانه أن يعيش الكسل والتواكل، فيبقى

(١) طه: ١ و٢.

(٢) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢ / ص ٩٥ / باب الشكر / ح ٦.

(٣) روضة الواعظين للفتال النيسابوري (ص ١١).

(٤) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق (ص ١٣٢).

يعيش تحت الحفر!

النقطة الثانية: هل الجنة درجة واحدة؟

إن الروايات الشريفة بالإضافة إلى بعض الآيات تصرح بأن الجنة ليست على درجة واحدة، وإنما هي درجات متعددة وكثيرة.

وفي الحقيقة فإن هذا تابع لما تقدم من أن التكامل غير متناهي، وأن الإنسان بإرادته يمكنه أن يصل إلى مرتبة معينة من التكامل، وحيث إن الجنة إنما هي ثمرة جهد الإنسان وعمله وتعبه، فستكون مرتبة الجنة لكل فرد متناسبة مع ما قدمه من عمل في الدنيا. والنصوص كثيرة في ذلك.

قال عز من قائل: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾^(١).

وعن النبي الأكرم ﷺ أنه كان يقول: «ذر الناس يعملون، فإن الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة وأوسطها، وفوقها عرش الرحمن، ومنها تفجر أنهار الجنة، فإذا سألتهم الله تعالى فاسألوه الفردوس»^(٢).

وفي رواية أخرى: «الجنة مائة درجة، لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعته»^(٣).

بل ورد في بعض الروايات الشريفة أن الفردوس نفسها فيها درجات مختلفة، فقد ورد عن النبي الأكرم ﷺ: «... من صلى صلاة الفجر في جماعة ثم جلس يذكر الله ﷻ حتى

(١) الإسراء ٢١.

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي ج ١٤ ص ٤٥٥ ح ٣٩٢٣٨.

(٣) كنز العمال للمتقي الهندي ج ١٤ ص ٤٥١ ح ٣٩٢٢٢.

تطلع الشمس، كان له في الفردوس سبعون درجة، بعد ما بين كل درجتين كحضر الفرس الجواد المضمّر سبعين سنة^(١)، ومن صلى الظهر في جماعة كان له في جنات عدن خمسون درجة بعد ما بين كل درجتين كحضر الفرس الجواد خمسين سنة، ومن صلى العصر في جماعة كان له كأجر ثمانية من ولد إسماعيل كل منهم رب بيت يعتقدهم، ومن صلى المغرب في جماعة كان له كحجة مبرورة وعمرة مقبولة، ومن صلى العشاء في جماعة كان له كقيام ليلة القدر...»^(٢).

النقطة الثالثة : الدرجات الخاصة في الجنة .

بناءً على كل ما تقدم، يمكن القول: إن هناك درجات في الجنة لا ينالها أي أحد، لأنها تحتاج إلى مهر غالي الثمن، وإن من يريد الفوز بها، فعليه أن يسعى جاهداً لتحقيق شروط الحصول على تلك الدرجات.

وبعبارة أخرى: أن كل درجة من درجات الجنة لها شروط خاصة، من يوفرها يمكنه أن يحصل عليها، تماماً كما أن الحصول على وظيفة معينة في الدنيا هو شروط بشروط خاصة، ولا يمكن الحصول عليها إلا بتوفير تلك الشروط.

وقد صرّحت بعض الروايات الشريفة بهذه الحقيقة، وأن هناك درجات خاصة في الجنة لا يتم الحصول عليها إلا بالاتصاف بصفات أهلها، ومن تلك الدرجات:

أولاً: درجة المتحابين والمتزاورين في الله تعالى.

فقد روي أنه قال النبي ﷺ: «طوبى للمتحابين في الله إن الله تبارك وتعالى خالق في

(١) الحضر: ارتفاع الفرس في عدوه، وضمرّ الفرس للسباق: ربطه وعلفه وسقاه كثيراً مدة، ثم يركضه في الميدان حتى يخف ويدق ويقل لحمه. [هامش المصدر]

(٢) الأماشي الشيخ الصدوق ص ١٢٣ - ١٢٤ ح ١١٣ / ١.

الجنة عموداً من ياقوتة حمراء، عليه سبعون ألف قصر، في كل قصر سبعون ألف غرفة، خلقها الله ﷻ للمتحيين والمتزاورين»^(١).

ثانياً: الإمام العادل ومن يصل رحمه والصابر على عياله.
عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: إن في الجنة درجة لا يناها إلا إمام عادل، أو ذو رحم ووصول، أو ذو عيال صبور»^(٢).

ثالثاً: من أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام.
عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، «قال: قال رسول الله ﷺ: إن في الجنة غرفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، يسكنها من أمتي من أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام.

فقال علي عليه السلام: «يا رسول الله، ومن يطيق هذا من أمتك؟ فقال: يا علي، أو ما تدري ما إطابة الكلام؟ من قال إذا أصبح وأمسى: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، عشر مرات. وإطعام الطعام: نفقة الرجل على عياله، وأما الصلاة بالليل والناس نيام: فمن صلى المغرب والعشاء الآخرة وصلاة الغداة في المسجد في جماعة، فكأنها أحياء الليل كله، وإفشاء السلام: أن لا يبخل بالسلام على أحد من المسلمين»^(٣).

رابعاً: أهل البلاء والهموم.

عن النبي ﷺ: «إن في الجنة منازل لا يناها العباد بأعمالهم، ليس لها علاقة من فوقها

(١) الخصال للشيخ الصدوق ص ٦٣٩

(٢) الخصال للشيخ الصدوق ص ٩٣ ح ٣٩.

(٣) الأماي للشيخ الصدوق ص ٤٠٧ ح ٥٢٥ / ٥.

ولا عماد من تحتها. قيل: يا رسول الله من أهلها؟ فقال ﷺ: هم أهل البلاء والهموم». (١)

خامساً: من يحكم على نفسه بالحق، ومن يزور أخاه المؤمن في الله تعالى، ومن يؤثر على نفسه.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَنَّةٌ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ حَكَمَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْحَقِّ، وَرَجُلٌ زَارَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فِي اللَّهِ، وَرَجُلٌ أَثَرَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فِي اللَّهِ». (٢)

النقطة الرابعة: درجة الإمام الحسين عليه السلام في الجنة.

تصرح الروايات الشريفة بأن الله تعالى جعل للإمام الحسين عليه السلام درجة خاصة في الجنة، ولكنها مشروطة بأن يقدم قرباناً عظيماً جداً إزاءها، ذلك القربان هو دمه، ودم ولده، وإخوته، وأصحابه، هو الرضا تمام الرضا بأن تُسبى عياله من بعده، وقد قدّم الإمام الحسين عليه السلام ذلك القربان وكلّه رضاً وتسليماً لله جل وعلا، فكانت له تلك الدرجة التي لا تكون إلا له.

(١) عدة الداعي ونجاح الساعي لابن فهد الحلي ص ٢٤٠.

(٢) الكافي للكليني ج ٢ ص ١٧٨ بَابُ زِيَارَةِ الْإِخْوَانِ ح ١١.



الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله



المصادر

- القرآن الكريم.
- أجوبة الشبهات الكلامية: محمد حسن قدردان قراملكي - مركز الدراسات الاستراتيجية.
- الاحتجاج: الطبرسي / ت محمد باقر الخرسان / دار النعمان / ١٣٨٦ هـ.
- اختيار معرفة الرجال: الشيخ الطوسي / مطبعة بعثت / قم / مؤسسة آل البيت / ١٤٠٤ هـ.
- الأصول الستة عشر: ت ضياء الدين المحمودي / ط ١ / ١٤٢٣ هـ / دار الحديث.
- الاعتقادات: الشيخ الصدوق / ت عصام عبد السيد / ط ٢ / ١٤١٤ هـ / دار المفيد / بيروت.
- أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين / ت حسن الأمين / دار التعارف / بيروت.
- الأمالي: الشيخ الصدوق / ت قسم الدراسات / ط ١ / ١٤١٧ هـ / مؤسسة البعثة.
- الأمالي: الشيخ الطوسي / ت مؤسسة البعثة / ط ١ / ١٤١٤ هـ / دار الثقافة / قم.
- الأمالي: الشيخ المفيد / ت الأستاذولي، علي أكبر الغفاري / ط ٢ / ١٤١٤ هـ / دار المفيد / بيروت.
- بحار الأنوار: العلامة المجلسي / ط ٢ المصححة / ١٤٠٣ هـ / مؤسسة الوفاء / بيروت.
- تحف العقول: ابن شعبة الحراني / ت علي أكبر الغفاري / ط ٢ / ١٤٠٤ هـ / مؤسسة النشر الإسلامي / قم.

تفسير الإمام العسكري: المنسوب إلى الإمام العسكري / ط ١ محققة / ١٤٠٩ هـ /
مدرسة الإمام المهدي / قم.

تفسير الأمثل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

تفسير العياشي: العياشي / ت هاشم الرسولي المحلاقي / المكتبة العلمية الإسلامية /
طهران.

تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي / ت طيب الجزائري / ط ٣ / ١٤٠٤ هـ / مؤسسة
دار الكتاب / قم.

تفسير الميزان: السيّد الطباطبائي / منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية / قم.
تفسير مجمع البيان: الطبرسي / ت لجنة من العلماء / ط ١ / ١٤١٥ هـ / مؤسسة
الأعلمي / بيروت.

تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي / ت حسن الخرسان / ط ٣ / ١٣٦٤ ش / مطبعة
خورشيد / دار الكتب الإسلامية / طهران.

ثواب الأعمال: الشيخ الصدوق / ت محمد مهدي الخرسان / ط ٢ / ١٣٦٨ ش / مطبعة
أمير / منشورات الشريف الرضي / قم.

جامع السعادات: محمد مهدي النراقي / ت محمد كلانتر / دار النعمان.

جواهر الكلام: الشيخ الجواهري / ت عباس القوجاني / ط ٢ / ١٣٦٥ ش / مطبعة
خورشيد / دار الكتب الإسلامية / طهران.

الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي / ط ١ كاملة محققة / ١٤٠٩ هـ / مؤسسة
الإمام المهدي / قم.

الخصال: الشيخ الصدوق / ت علي أكبر الالغفاري / ١٤٠٣ هـ / جماعة المدرّسين / قم.
الدعوات: قطب الدين الراوندي / ط ١ / ١٤٠٧ هـ / مطبعة أمير / مؤسسة الإمام

المهدي / قم.

روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي (الأول) / تحقيق: نمقه وعلّق عليه وأشرف على طبعه «السيد حسين الموسوي الكرمانى والشيخ علي پناه الإشتهااردى».

روضة الواعظين: الفتال النيسابوري / ت محمد مهدي الخرسان / منشورات الشريف الرضي / قم.

سنن ابن ماجة: ابن ماجة القزويني / ت محمد فؤاد عبد الباقي / دار الفكر / بيروت.
شرح الأخبار: القاضي النعمان المغربي / ت محمد الجلاي / ط ٢ / ١٤١٤هـ / مؤسسة النشر الإسلامي / قم.

شعب الإيمان: أبو بكر البيهقي / ط ١ / ١٤٢٣هـ / مكتبة الرشد.

صحيح مسلم: مسلم النيسابوري / دار الفكر / بيروت.

الصحيفة السجّادية: أبطحي / ت محمد باقر الأبطحي / ط ١ / ١٤١١هـ / مطبعة نمونة / مؤسسة الإمام المهدي، مؤسسة الأنصارين / قم.

عدّة الداعي: ابن فهد الحلّي / ت أحمد الموحّدي القمي / مكتبة وجداني / قم.

علل الدارقطني: الدارقطني / ت محفوظ الرحمن زين الله السلفي / ط ١ / ١٤٠٥هـ / دار طبية / الرياض.

علل الشرائع: الشيخ الصدوق / ت محمد صادق بحر العلوم / ١٣٨٥هـ / منشورات المكتبة الحيدرية ومطبتها / النجف الأشرف.

عوالي اللئالي: ابن أبي جمهور الأحسائي / ت مجتبى العراقي / ط ١ / ١٤٠٣هـ / مطبعة سيّد الشهداء / قم.

عيون أخبار الرضا: الشيخ الصدوق / ت حسين الأعلمي / ١٤٠٤هـ / مؤسسة

الأعلمي/ بيروت.

عيون الحكم والمواعظ: علي الليثي الواسطي/ ت حسين البيرجندي/ ط ١/ دار الحديث.

الغبية: الشيخ الطوسي/ ت عبد الله الطهراني، علي أحمد ناصح/ ط ١/ ١٤١١هـ/ مطبعة بهمن/ مؤسسة المعارف الإسلامية/ قم.

الغبية: النعماني/ ت فارس حسّون كريم/ ط ١/ ١٤٢٢هـ/ مطبعة مهر/ أنوار الهدى.
الفتوح: أحمد بن أعثم الكوفي/ ت علي شيري/ ط ١/ ١٤١١هـ/ دار الأضواء.
القاموس المحيط: الفيروزآبادي.

الكافي: الشيخ الكليني/ ت علي أكبر الغفاري/ ط ٥/ ١٣٦٣ش/ مطبعة حيدري/
دار الكتب الإسلامية/ طهران.

كامل الزيارات: ابن قولويه/ ت جواد القيومي/ ط ١/ ١٤١٧هـ/ مطبعة مؤسسة
النشر الإسلامي/ مؤسسة نشر الثقافة.

كمال الدين: الشيخ الصدوق/ ت علي أكبر الغفاري/ ١٤٠٥هـ/ مؤسسة النشر
الإسلامي/ قم.

كنز العمال: المتقي الهندي/ ت بكري حياني/ ١٤٠٩هـ/ مؤسسة الرسالة/ بيروت.

لسان العرب: ابن منظور/ ١٤٠٥هـ/ نشر أدب الحوزة/ قم.

مجلة الإصلاح الحسيني: العدد الثاني.

مجلة الموعد: العدد ٢/ ذو الحجة/ ١٤٣٧هـ/ تصدر عن مركز الدراسات التخصصية
في الإمام المهدي (عليه السلام).

المحاسن: البرقي/ ت جلال الدين الحسيني المحدث/ ١٣٧٠هـ/ دار الكتب
الإسلامية/ طهران.

- محاضرات في الإلهيات: للشيخ جعفر السبحاني
مختصر البصائر: الحسن بن سليمان الحلّي / ت مشتاق المظفر .
- مسالك الأفهام: الشهيد الثاني / ط ١ / ١٤١٣هـ / مطبعة بهمن / مؤسسة المعارف الإسلامية / قم .
- مستدرك الوسائل: الميرزا النوري / ط ١ المحققة / ١٤٠٨هـ / مؤسسة آل البيت / بيروت .
- مستطرفات السرائر: ابن إدريس الحلّي / ط ٢ / ١٤١١هـ / مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين / قم .
- مسند أحمد: أحمد بن حنبل / دار الصادر / بيروت .
- المصباح المنير: أحمد بن محمد المقرئ الفيومي / دار الفكر / بيروت .
- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا (ابن فارس) / تحقيق: عبد السلام محمد هارون / سنة الطبع: ١٤٠٤ / المطبعة: مكتبة الإعلام الإسلامي / الناشر: مكتبة الإعلام الإسلامي .
- مكارم الأخلاق: الشيخ الطبرسي / ط ٦ / ١٣٩٢هـ / منشورات الشريف الرضي / قم .
- من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق / ت علي أكبر الغفاري / ط ٢ / مؤسسة النشر الإسلامي / قم .
- مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب / ت لجنة من أساتذة النجف / ١٣٧٦هـ / المكتبة الحيدرية / النجف .
- منهاج الصالحين: السيد السيستاني
- موسوعة العقائد الإسلامية: محمد الريشهري / تحقيق: مركز بحوث دار الحديث / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٢٥ - ١٣٨٣ش / المطبعة: دار الحديث / دار الحديث

للطباعة والنشر.

موسوعة كلمات الإمام الحسين: لجنة الحديث في معهد باقر العلوم / ط ٣ / ١٤١٦ هـ /
دار المعروف.

نهج البلاغة: الشريف الرضي / ضبط نصّه الدكتور صبحي صالح / ط ١ / ١٣٨٧ هـ /
بيروت.

المحتويات

٣	مقدمة العهد
٥	الإهداء
٧	المقدمة
١١	أصول موضوعية
١١	الأصل الأول: الحسن والقبح العقليان.
١١	الأصل الثاني: عدم العلم بالحكمة لا ينفيها.
١٢	الأصل الثالث: واقعية الألم في الحياة.
١٤	الأصل الرابع: التعويض الإلهي، مِنّة لا استحقاق.
١٨	والخلاصة:
١٩	اختلاف درجات التعويض
٢٣	التعويضات الإلهية للإمام الحسين عليه السلام
٢٤	التقسيم الأول: بلحاظ وقت التعويض:
٢٥	التقسيم الثاني: بلحاظ من يكون له التعويض.
٢٧	العوض الأول: الإمامة في ذريته.
٢٨	النقطة الأولى: الإمامة اختيار إلهي.
٣٠	النقطة الثانية: تراكم الخصوصيات لا يلازم الأفضلية دوماً.
٣١	بين الإمام الحسين والإمام المهدي عليه السلام
٣١	الجهة الأولى: انتساب الإمام المهدي عليه السلام إلى الإمام الحسين عليه السلام
٣٢	الجهة الثانية: من أوجه الشبه بين الإمام الحسين والإمام المهدي عليه السلام
٣٣	دور الدين في الحياة.

- ٣٣ التوجه الأول: قطع علاقة الدين بالحياة.
- ٣٣ التوجه الثاني: أن الدين بديل عن إرادة الإنسان.
- ٣٦ التوجه الثالث: الأمر بين الأمرين.
- ٣٧ أولاً: كيف كفر أو انحرف من كان يرى المعصوم؟
- ٣٨ ثانياً: لماذا ينحرف البعض بعد وقوع الصيحة؟
- ٤٠ ثالثاً: لماذا طالت الغيبة؟
- ٤١ رابعاً: قتل الأنبياء والمعصومين عليهم السلام.
- ٤٥ **العوض الثاني: الشفاء في تربته**
- ٤٥ الأمر الأول: سنة التغير في الحياة.
- ٤٧ الأمر الثاني: خطورة الأمراض المعنوية.
- ٤٨ الأمر الثالث: الإرادة الإلهية في سببية الشفاء.
- ٤٩ الاستشفاء بتربة الإمام الحسين عليه السلام:
- ٥٠ شرط الانتفاع بتربة الإمام الحسين عليه السلام:
- ٥٢ من خصائص تربة الإمام الحسين عليه السلام:
- ٥٢ الخصيصة الأولى: أنها أمان في السفر ومن الخوف.
- ٥٣ الخصيصة الثانية: حرمة تربة قبر الإمام الحسين عليه السلام.
- ٥٣ الخصيصة الثالثة: اتخاذ المسيحية من طين قبر الإمام الحسين عليه السلام.
- ٥٤ الخصيصة الرابعة: استحباب السجود على تربة الإمام الحسين عليه السلام.
- ٥٥ الخصيصة الخامسة: تحنيك الأولاد بها.
- ٥٥ الخصيصة السادسة: وضعها مع الميت.
- ٥٥ الخصيصة السابعة: أكلها للاستشفاء.

- ٥٧ العوض الثالث: إجابة الدعاء عند قبره
- ٥٧ النقطة الأولى: الدعاء سبب غيبي.
- ٥٨ النقطة الثانية: تجلي الدعاء كثرة من ثمرات الأمر بين الأمرين.
- ٥٩ النقطة الثالثة: أخطاء عملية في العلاقة مع الدعاء.
- ٦٢ النقطة الثالثة: شروط مؤثرية الدعاء.
- ٦٧ العوض الرابع: لا تعد أيام زائريه جائياً وراجعاً من عمره.
- ٦٩ الأجل المحتوم وغير المحتوم.
- ٧٠ نماذج مما يزيد في العمر ومما يقطعه:
- ٧٢ زيارة الإمام الحسين عليه السلام مما يزيد في العمر.
- ٧٥ العوض الخامس: رجعة الإمام الحسين عليه السلام
- ٧٦ الأمر الأول: المفهوم العام للرجعة.
- ٧٧ الأمر الثاني: مؤهلات الرجوع إلى الدنيا بعد الموت.
- ٨٥ الأمر الرابع: الهدف من رجعة الإمام الحسين عليه السلام ودوره.
- ٨٧ الأمر الأول: الأسماء الإلهية مستأثرة وغير مستأثرة.
- ٨٩ الأمر الثاني: معاني التفويض.
- ٩٣ فائدة تربوية: وضع النفس في موضعها المناسب.
- ٩٧ العوض السادس: شفاعت شيعت الإمام الحسين عليه السلام.
- ٩٧ الإشارة الأولى: موضع الحاجة إلى الشفاعة.
- ٩٩ الإشارة الثانية: مؤهلات الشفيع.
- ١٠٠ الإشارة الثالثة: استحباب الشفاعة الدنيوية.
- ١٠٢ الإشارة الرابعة: هل الشفاعة الأخروية تشجع على الذنب؟

- ١٠٧ الإشارة الخامسة: ثمرات الإيمان بالشفاعة.
- ١٠٨ الإشارة السادسة: شفاعت شيعت الإمام الحسين (عليه السلام).
- ١٠٩ العوض السابع: طوبى لمن كان من أولياء الإمام الحسين عليه السلام
- ١٠٩ الأمر الأول: ما هو معنى طوبى؟
- ١١١ الأمر الثاني: لمن تكون (طوبى)؟
- ١١٧ العوض الثامن: درجة الإمام الحسين عليه السلام في الجنة.
- ١١٨ الأمر الأول: التكامل اللا متناهي.
- ١٢١ النقطة الثانية: هل الجنة درجة واحدة؟
- ١٢٢ النقطة الثالثة: الدرجات الخاصة في الجنة.
- ١٢٤ النقطة الرابعة: درجة الإمام الحسين (عليه السلام) في الجنة.
- ١٢٥ المصادر